حسنى لبيب

دموع إيزيس

رواية



الإهداء

إلى بلدي الحبيب ...

دموع إيزيس

حسنى سيد لبيب

لوحة الغلاف للفنان : محمد الطلاوى

الطبعة العربية الأولى : أغسطس ١٩٩٨

رقم الإيداع : ٩٦٢٦/٩٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-098-5



السلسلة الأدبية

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

المشرف العام
على السلسلة الأدبية
خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الإلكترونى
مركز الحضارة العربية
تنفيذ : شريف على

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

الفصل الأول

هلع قلب إيزيس لاختفاء زوجها . خرج منذ أسبوع
فى رحلة صيد عبر الصحراء الممتدة جهة الغرب ،
ولم يَعد . سألت عنه أخاه ست ، فابتسم فى شماتة.
هكذا ترجمتْ ابتسامته التى افترّ عنها ثغره الغليظ .
برزت أسنانه وجحظت عيناه . عبّر ست بابتسامته
الحجرية عن جمود أحاسيسه ، ولم ينبس ببنت
شفة. صرخت فى وجهه تهز كتفيه :

- أين زوجى ؟

- تريثى عدة أيام ، ربما يعود ..

- ربما .. أواه منك .

تركته وقد زادها فتوره قلقاً وارتباكاً .

حملت حورس بين ذراعيها ، وخرجت من دارها

محلولة الشعر . حافية القدمين . ويممت وجهها شطر المعبد ، وفى ذهنها يهجس خاطر مخيف بأن ست آذى أوزوريس . فست لم يَعُد يطيق أخاه بعد زواجه منها.

تذكر هذه الأيام الخوالى ، وتذكر يوم ذهب أبوها العجوز إلى الكاهن الأكبر ، يستشيره في أمر الزيجة . أجرى الكاهن طقوسه وشعائره ، ثم همس فى أذنيه :

– الإله يبارك أوزوريس .

فرح الأب بكلمات الكاهن ، واعتبرها إذناً مقدساً يُريحه من عناء الاختيار .

وكان الأب – قبل ذلك – قد اقترح مبارزة بين الاثنين ليظفر بابنته من يقتل الآخر . لكن إيزيس بكت وقالت :

– ربما يُقتل أوزوريس ، فست شاب طائش .

وقالت الأم :

– لماذا يقتتل الأخوان ؟ أمن أجل ابنتنا تُراق الدماء ؟ اذهبْ إلى الكاهن، وحُكمه لن يُردَ . وسيرضخ له الأخوان ويستريحان .

فرحتْ إيزيس بحكم الكاهن ، الذى اتفق مع هوى قلبها . وذهبت فى صباح اليوم التالى إلى المعبد تشكر الإله .

أما ست ، فقد أعمى الحقد قلبه ..

***

يممتْ وجهها شطر المعبد ، كعادتها كلما ألم بها مكروه ، تستنجد بالقوة الخالقـة التى لا تعرف حدوداً لها . وكـعادتها حين تفرح بنبـأ سعيد فـتشكر وتمتن . تذكـر آخـر مـرة جـاءت إلى هنا ، تشكر الإلـه حين رزقت بطفلهـا الجميل حـورس . وضعت طفلها الوديع بين قدمىْ تمثـال عملاق ، وراحت تجول بين ردهات المعـبد ، ثم وقفت فى المكان الذى اعتادته ، واسـترسلت تناجى وتدعـو ، جثَتْ على ركبتـيهـا ، وشدت من قامـتها ، رافـعة رأسـها وذراعـيهـا إلى أعلى . تمتمت بكلـمات اسـتغـاثة ، وتهدج صـوتها بدعـاء وشجن . أرعدت السـماء وأبرقت ، فهرعت إلى طفلها تحتـضنه وتختبئ به فى مكان آمن . ولم تهدأ السماء من غضبـتها المباغتة إلا بعد أن أزاحت عن كاهلها ما تنوء بحلمه من سحب وغـيوم ، فانهمرت الأمطار غزيرة ، تغسل التماثيل وجدران المعبد بماء طهور .

خرجت من مكمنهـا ، وطفلها البرئ يداعب وجـهها بيديه . وفـوجئت بامرأة عجوز تقترب منها وهى تتفرس ملامحها ..

– أرى الهم والنكد يرتسمان على وجهكِ أيتها الجميلة ..

– اختفى زوجى منذ أسبوع ، ولا أعرف له مكاناً .

– أستطيع أن أدلكِ لو أجبتِ على أسئلتى واستفساراتى .

أمعنت النظر فى وجه العجوز ، ثم سألت وهى ترتجف :

– من أنتِ ؟

واحتضنت الطفل بقوة وهى خائفة .

ابتسمت العجوز وطمأنتها ..

- لا تخافى . أنا عرافة بالمعبد . أفسر لغة النجوم ، وأقرأ الطوالع ، وذات علم بالنبوءات .

هدأت إيزيس ، وأخذت تحكى هواجسها ومخاوفها .

حفرت السنون تجاعيدها أخاديد وتشققات . تأملت الوجه الجميل ، مشفقة عليه مما ستلاقيه صاحبته من محن ونوازل . جمدت الملامح والنظرات ، وبدت خطوط الزمن أشد افتراساً لمشاعرها . عينا العرافة لا تتحولان عن وجهها ، وشفتاها مطبقتان لا تنمان عن شئ . لحظات وجوم أخافت إيزيس . تمنت لو أن العرافة تمضى لحال سبيلها ولا تقول شيئاً . فتختلى بنفسها وتتوسل بطريقتها الخاصة . هذا أفضل من أن تسمع حكم الأقدار ، وفيها - فيما يبدو - ما يُميت القلب كمدا .

أطرقت العرافة وقالت بصوت خفيض :

- إيزيس ، لا تبتئسى . إنها مشيئة الأقدار . زوجكِ موضوع فى صندوق مغلق ، والصندوق ملقى فى مياه النيل ، يسير مع اتجاه التيار . الطالع يقول أنه فى ضجعة أبدية ، تحدب عليه الأسماك والحيتان !

انخلع قلبها . هرعت إلى ست وأخذت تعنفه وتلعن فعلته ..

- يا ست .. يا قابيل عصرنا .. يا تجسيداً للشر الخبئ بنفوسنا .. ماذا فعلت بأخيك الطيب ؟

- لم أفعل شيئاً . خرجتُ معه للصيد ، والصحراء - كما تعرفين - مترامية الأطراف ولا حدود لها .

- تنطق كذباً . قد وضعتَ أخاكَ فى صندوق وألقيتَ به فى النيل .

- لم أفعل شيئاً .

- العرافة قالت لي ..

وجم .. لم ينطق بكلمة ..

- دلني على مكانه .

- لا أعرف .

هزت كتفيه صارخة في وجهه .

قال لها :

- ماذا يفيدكِ من العثور على جثة ؟ التحنيط لا يفيد ، بعد أن صارت جثته طعاماً للأسماك .

- خسئتَ ..

- قد انتهى أوزوريس ، ويبقى وجهكِ أنتِ مشرقاً كضوء الشمس ..

يقترب منها ، ويهمس :

- اريد أن أتزوجكِ . لقد شقيتُ من أجلك .

- هذا مطلب دونه نجوم السماء ، يا قابيل هذا الزمان سأظل أبحث عن زوجي ، لن أيأس .. أفهمت ؟

الفصل الثانى

جـابت القطر بمحاذاة النـيل ، باحثـة عن الصندوق .
استـغرقت الرحلة أيامـاً وليال طويلة قـاسيـة ، ذاقت
فيها الأهوال وتجشمت الـصعاب . وحورس الجميل
بين ذراعيـها وديعـة غالية تحـرص عليهـا . تصدّ عنه
غائلة الشر التى طعنت أباه ، فأحست بالطعنة الدامية
تشق صدرها . حـورس الآن هو الذكرى الباقـية من
زوجها . وتخـشى عليه أن يلقى مصيراً أليمـاً كأبيه .
وظلت تسـأل كل من تصـادف من الناس ، ربما عثـر
أحـدهم على الصندوق الـطافى . ولم تعـرف للأكل
طعـمـاً ، ولا للنوم مـرقداً . وأحـياناً يخـيل إليهـا أنه
قريب مـنها ، ويلبى النداء .. يقـبل جهـة الصوت ..
فتطلق النداء يجلجل صداه بين الأودية والجبال :

- "أو .. زُو .. ريسْ "..." أو .. زُو .. رِيسْ "..." أو .. زُو .. ري .. يِيسْ"...

فيأتيها صدى الصوت ، ولا تسمع وقع أقدام ، أو لفح أنفاس لآدمي .

لم تيأس . ظلت دائبة البحث ، توصل الليل بالنهار ، ولا تغفو إلا سويعات ، ولا تقتات إلا لقيمات . وتضم حورس إلى صدرها حرصاً عليه، وخوفاً من أن تناله يَدُ الغدر . كفاها ما تلاقى من ويل فى البحث عنه. كلمات العرافة قد هوت بها من حالق ، وزلزلت الأرض من تحت قدميها . لكنها لا تيأس . تتضرع إلى القوة الخالقة وتدأب فى البحث ، حتى أشرقت الشمس ذات صبح جميل ، ترسل أشعتها الذهبية فى سخاء ، فتدفئ مياه النيل . وفى ضوء الشمس ، لمحت فى البعيد جسماً متحركاً فى اتجاه حركة المياه من الجنوب إلى الشمال . خفق قلبها ، وتمنت أن يكون ما تراه هو الصندوق . نادت على أهل القرية الطيبين ، فأخذوا يتتبعون معها الجسم الآخذ فى الاقتراب شيئاً فشيئاً . وتهيأ صياد بمركبه ، المصنوع من سيقان البردى ، وتحرك إلى الجسم ، حتى إذا ما اقترب منه ، لوّح بذراعيه لإيزيس ، مبشراً إياها بأنه الصندوق الذى تبحث عنه . تهللت أساريرها وخفق قلبها . وابتسم الطفل حورس بين ذراعيها ابتسامة طيعة ، تلقاء نفسه . وإن الفرح الذى اكتسى به محيا الأم ، قد سرى دفئاً بصدرها ، وانتقل الدفء إلى حورس ، فتهللت قسماته بالبشر ، وأشرقت الابتسامة على وجهه الجميل .

هلل الواقفون لوصول الصندوق . كان الصياد يتجه بمحاذاة الصندوق ، دافعاً إياه بكلتا يديه .

تهدج صوت إيزيس :

- شكراً للإله . شكراً للإله .

وتعاون الرجال على حمل الصندوق إلى الشاطئ .

***

تحلق أهل القرية حول الصندوق ، صمتوا لحظات كأنها الدهر ، لحظات عصيبة ، انتصروا بعدها على ترددهم وفتحوه . كان أوزوريس ممدداً بطول الصندوق ، وقد اكتسى وجهه بآثار اكتئاب قديم قبل أن يستسلم للرقاد الطويل .

جثت على ركبتيها ، ومدت يدها تمسك بحافة الصندوق ، وتخفى وجهها داخله ، وقد فاضت عيناها بدموع سخية ، مثلما تسخو السماء بالأمطار . أنهضوها ، فَبَدَا وجهها وقد شابه احمرار وغسلته الدموع . تقدم منها شيخ مسن . قال بصوت متهدج ، وقد أسند جسمه بعصا غليظة :

- لا تحزني يا إيزيس . فمصابك هو مصابنا . وأوزوريس الطيب القلب، ابن هذه الأرض السوداء ، جادت به تربتها مثلما تجود بالنبتة الطيبة. إنه البسمة في عيون أطفالنا ، والعذوبة في مياه نيلنا .

قالت إيزيس بقلب يعتصره الألم :

- هو الروح التي انتزعت من جسدي ، فصرتُ بدونه تمثالاً حجرياً ينتظر أن يأتيه طائره من وقت لآخر ، من الفضاء الواسع .

- لا تقولي هذا . أنتِ تعيشين معنا ، تبعثين في عروقنا دفء الحياة ونبضها ، خلفاً لزوجك الذي تناقلت الألسن الحديث عن طيبته وسماحته في قرى وادينا الخصيب .

صرخت :

- لا معنى لحياتى وأوزوريس أمامى فى ضجعته الأبدية . أنتم لا تدرون عذابى .. فحورس الحبيب تؤنبنى نظراته ، تقتلنى تساؤلاته التى أحس بشفتيه تودان النطق بها ، كأنما يقول معاتباً - وهو الطفل البرئ - : "ماذا جنى أبى ؟" .. يا إخوان .. لقد امتدت يد الغدر إلى أوزوريس ، دونما ذنب جناه .

اشرأبّت إلى السماء ، إلى الشمس الساطعة المتوهجة ، ورفعت ذراعيها، كأنما تمدهما لتلتقط شيئاً بعيداً عن متناول يدها ، وتهدج صوتها بالرجاء :

"أيتها الشمس القوية ، باعثة الدفء فى صدورنا وفى وادينا الخصيب ... أستحلفك بحق الحياة التى أنتِ أحد أسبابها ، أن تبعثى الروح فى جثمان حبيبى ، أن تبعثى بطائره الشارد فى الفضاء اللانهائى ، لا ليزور جثمانه ، وإنما ليحل فيه ، فيعود أوزوريس يمشى على قدميه ، ويرنو إليك بعينيه ، ويهمس لى بحلو الكلام بشفتيه ، ويحتضن حورس الجميل بذراعيه.

ليست لى حيلة ، وأنتِ أمام ناظرى نوراً وناراً . فأراكِ تمثلين فى روحى وقلبى ، نوركِ يضئ القلبَ والدرب ، ونارك تحرق كل عرق فاسد . أنتِ القوة التى تنير طريق الخير ، وتحرق بذور الشر . أنتِ القوة المهيمنة على بصائرنا . فهلا أرجعتِ لى أوزوريس ؟ ألا وجهتِ طائره الشارد ، روحه الطيبة ، كيما تحلق بمحاذاة النيل ، فتؤوب من رحلتها المجهولة إلى حيث يرقد أوزوريس ؟ " .

أطرق الرجال ، بعد أن تهدجت أصواتهم بالرجاء والأمل . ثم يمموا وجوههم جهة الشمس ، وتعلقت أبصارهم بضوئها . ظلوا متسمرين فى أماكنهم ، شاخصة أبصارهم إلى السماء فى صلاة صامتة خاشعة ، تتمتم شفاههم بكلمات غير مسموعة ، إلى أن فاجأتهم إيزيس بصوتها الفرح :

– بدأت أهدابه ترتف . أوزوريس ينظر إلىّ . يعلو صدره ويهبط . يتنفس الهواء العطر . يحرك أنامله . يحرك ذراعيه . ينهض . هاك يدى يا زوجى الطيب .

ثم رفعت وجهها الذى تضوأ بالنور ، متوجهة إلى السماء ، وقالت :

– شكراً أيتها القوة الخالقة الجبارة .

والتف الجميع حول الصندوق ، يمدون أيديهم إلى أوزوريس ، يساعدونه على النهوض ..

معجزة تتحقق ...

اتجه الشيخ المسن إلى الحشد الملتف ، وقال :

– يا أهل قريتنا .. اليوم عيد . اليوم تُنحر الكباش وتقدم الأطعمة . ولنذهبْ إلى المعابد .. نرقص ونغنى ونحتفى بأوزوريس العائد إلينا !

أوزوريس يحتضن حورس . قالت إيزيس :

– إنها أفعال ست الغادرة .

– ماذا فعل ؟ لستُ أدرى شيئاً ، ولا أعرف لماذا نمتُ داخل هذا الصندوق العجيب ؟

قالت مندهشة :

- نوم ! ....

قصت عليه ما فعله ست ، فلم يصدق . أكدت له :

- العرافة قالت لي ، وصحت نبوءتها .

تساءل مستغرباً :

- هل من المعقول أن تُستل روحى ، ثم تعود ؟

- ألا ترى موميـاوات الفراعين قد وُضعت الأطعمة بجـوارها فى أوعية ذهبية ، ريثما تُرد إليهم طيورهم الشاردة وتأكل الطعام ؟!

- ربما رقدتُ فى صندوق ونمت ، ورحتُ فى اغفاءة قصيرة حتى عثرتم علىّ وأخرجتمونى !

قالت إيزيس :

- إنك تبرر ما حدث ، وتختلق المعاذير حتى لا تخطئ أخاك الشرير .

قال الشيخ المسن :

- يحق لك الانتقام منه ، ونحن نقف معك نؤازرك وننتصر لك .

- لا .. يا شيخنا الوقور ، المغفرة ، المغفرة ..

قالت إيزيس :

- يا لك من رجل طيب ! ..

الفصل الثالث

انتشرت قصة بعث أوزوريس ، وكيف دبت الروح في جسده وسرت في أعضائه عضواً عضواً . وشاع الخبر في ربوع البلاد . الكل مشتاق لمعرفة ما حدث ، وتنوقلت التفاصيل بأن الروح استقرت أولاً في قلبه، الذي ظل يدق دقات واهنة بطيئة ، فتنبه العقل ، وبدأت دقات القلب تنتظم ، ثم سرى الدفء في العروق .. الصدر يتنفس أولاً ، ثم تؤدي المعدة وظيفتها ، فالأمعاء ، ثم بدأ يحرك جميع أجزاء جسمه .. أعجب الناس بالقصة وأخذوا يرددونها بمناسبة وبدون مناسبة ، ودوّنوها على أوراق البردي، وحفروها على جدران المعابد . كما ارتفع قدر إيزيس وأوزوريس في عيون الناس . بدأت جموع غفيرة تحج إلى دارهما كل يوم لنيل البركة . كما حرصوا

على تقديم الهدايا ، ويحملون على دوابهم من أطايب النبات والثمار ، تقربا وتبركا . ولا عجب فى هذا ، فقد ارتفعت منزلة الزوجين الحبيبين إلى حد التقديس . فها هى معجزة خارقة تتحقق ، وكيف لها أن تحدث فعلاً لو كان أوزوريس رجلاً عادياً من عامة الناس ! وكيف لدعوات إيزيس التى رفعتها إلى السماء وهى متجهة صوب الشمس العظيمة ، كيف لهذه الدعوات أن يُستجاب لها على الفور لو كانت إيزيس إمرأة عادية من عامة الناس !

كان ضمن حاشية فرعون شيخ محنك ، يقربه فرعون إلى مجلسه ويثق بكلماته ، ودائماً يستشيره فيما يعنّ له من الأمور . عهد إليه تقصّى أخبار إيزيس وزوجها ، حين شاعت حكاياتهما المدهشة على كل لسان .

جدّ الشيخ فى معرفة الحقائق ونقلها إلى الفرعون ، وأوصى الشيخ بأن تلقى إيزيس وأوزوريس كل التكريم والتبجيل . فأمر الفرعون ببناء دار فخمة يعيشان فيها ، ويلحق بالدار معبد صغير زُينت جدرانه بنقوش ملونة لحاملات الدفوف والراقصات والعابدات، فى حركات تعبيرية بالأذرع المرفوعة ، كأنهن يعزفن جميعاً إيقاعاً موحداً ، مغتبطين ، شاكرين . ويقوم أربعة من الكهان بخدمة المعبد ، وطقوسه وشعائره . كما أمر فرعون البلاد بتمليك أوزوريس حوالى خمسمائة فدان من الأرض المتاخمة للدار والمعبد، وتعدّ من أجود الأراضى الصالحة للزراعة .

أما ست ، فقد أمر فرعون بسجنه عقاباً له على فعلته النكراء . لكنه لاذ بالهرب محتمياً بالجبال ، وأقام سكنه المحصن هو وستة من الهاربين . وأوعزت له نفسه أن يلحق الضرر بأوزوريس ، بعد أن علم بعطايا فرعون

له . زاد حقده على أخيـه المحظوظ ، الذى حظى بإيزيس الجميلة ، ونجا من الموت المحـقق بمعـجزة لـم تخطر على بال ، حـتى أنه شك فـيمـا حـدث ، واعتقد أن أوزوريس كان على قيد الحياة بداخل الصندوق ، ولم يمت ! كل مـا هنالك أنه أصيب باغـمـاء ، أفاق منه بعـد فـتح الصندوق . لكن الناس اعتـقدت أن الروح الطائرة زارته وحلت فى جسـده . وسرى هذا الاعتـقاد بين الناس فى كل مكان ، فصدقوه وقدسوا إيزيس وأوزوريس !

صـارح زوجته نفـرتارى بمشاعـره ، فـانزعـجت وصكت بيـدها على صدرها وقالت قلقة:

– صه .. لا تتحدث فى هذا ، ولا تفكر فيه أبداً ...

– العالم من حولنا ملئ بالخرافات .

– سيغضب منك الكهنة ، وقد تُصاب بلعنة أبدية !

ضحك وقال لها :

– ولو علم الفرعون فسيكون الموت جزائى . أعرف ذلك تماماً . لكن ما بداخلى يحدثنى بغير ما يـرى الناس ، فماذا أفعل ؟ ها هو أوزوريس ، بعد أن وضـعتـه حيـاً فى صندوق ، وأحكمت غلقـه ، ها هو إنسـان لم يُصب بسوء. أعـتقـد أن الصندوق لم يكن مـحكماً . أو أن أخى اسـتعـمل ذكاءه وشق فتحة بالصندوق ، لا أعرف كيف ؟

أصيب ست بحسـرة ولوعة ، فها هو فرعـون يعتقد فيمـا يسمع ويغدق على أوزوريس الهبات والعطايا ، ويسبغ عليـه هالة من التقديس ، ويحيطه بسياج الحراسة والرعاية . ويكاد ينصبـه فرعوناً صغيراً يملك زمام هذه البلاد

من بعده !

أما هو ، فقد أمر فرعون جنوده بالبحث عنه لسجنه وتعذيبه . فيا لها من حياة ! ويا لها من مهالك يتعرض لها ! وتضطره الظروف أن يختبئ معتصماً بالجبال ، مع المجرمين الهاربين من حرس فرعون ، يعيش بعيداً عن زوجته معذباً حانقاً . وحدّث نفسه بأن لابد من إلحاق الضرر بأوزوريس .. بذلك الأخ الذى نال حظه من الحياة ، بينما لم ينل هو شيئاً ذا بال . واعتقد ست أن الأقدار تناصبه العداء ، وأنها تأخذ منه وتعطى أوزوريس ، بالقدر الذى يرتفع منسوب الحقد فى نفسه والطيبة فى نفس أخيه .

قضى أمسيته ساهراً مؤرقاً ، محدقاً فى السماء . آوى مساعدوه إلى مراقدهم وتركوه وحده . واتته فكرة فأوعز لرجاله أن يتسللوا فى جنح الظلام إلى مزارع أوزوريس ، ويفتحوا السد الطينى الذى بناه أوزوريس ليحول دون تسرب المياه الغزيرة إلى زرعه الأخضر . وأتموا ما طلب ، لكنهم أثناء ركوبهم الجياد ، أحدثوا جلبة نبهت الحراس ، فهرعوا إليهم مشتبكين معهم فى معركة بالسهام ثم الخناجر ، ففروا هاربين مؤثرين السلامة بعد أن اطمأنوا إلى أن المياه ستغرق كل ما هو أخضر . لكن الحراس تنبهوا ، فما إن انفضت المعركة ، حتى أعادوا سد الفتحة التى أحدثوها . وكان تسرب المياه لم يزل فى بدئه لا ينجم عنه ضرر جسيم .

وتضايق لفشل مسعاه ، ففكر فى وسيلة أخرى . فالزرع الذى لم يفسد بالمياه الغزيرة الزائدة ، تستطيع النار أن تحرقه وتأتى عليه . لكن رجاله الستة لقوا مقاومة عنيفة فى هذه المرة ، فقد أمر فرعون بتشديد الحراسة عندما علم بما يُدبر لأوزوريس من مكائد . ورجع مساعدو ست أربعة بعد أن قُتِل

سادسهم وأسر خامسهم .

ولما أعيته الحيل ، أعاد التفكير ثم قال لرجاله الأشدّاء :

– سأقتل أوزوريس بنفسى . لن أعود إليكم إلا بعد أن أتأكد أنه مات !

الفصل الرابع

حاول ست إيذاءه بشتى الطرق ، وفى كل مرة كان ينجو بأعجوبة . وسعى ست إلى إتلاف أرضه ، فنكص على عقبيه مهزوماً مدحوراً . اكتاب صدر أوزوريس لهذه المكائد ، واعتراه هم وكدر للروح الشريرة التى حلت بأخيه ست . جلس عند عتبة داره، ينظر إلى السماء الواسعة والأرض الممتدة ، يتتبع حركة الماشية الساعية فى الأرض ، تأكل الكلأ فى ضوء القمر ، ثم يتطلع إلى النجوم ...

جلست بجواره تحمل حورس بين ذراعيها . ألقمته ثديها المكتنز فترة حتى أغفى فأرقدته فى مهده داخل الدار ، ثم عادت تجلس مع زوجها ، تسامره ويسامرها .. يتبادلان حلو الكلمات .. لكن مكائد

ست تفرض نفسها موضوعاً للحديث . يتذكر آخر مرة التقى به ، فيحكي لها تفاصيل هذا اللقاء المريب ...

"دعاني للغداء في داره . استقبلتني زوجته . أعدت أصنافاً شتى من الطعام ، وقدم لي لحم الضأن المشوى ، أكلتى المفضلة . قال أنه صنع بنفسه تابوتاً جميلاً ، سيقدمه هدية إن كان مناسباً لطولي .. صمت .. قالت نفرتارى أنها لم تر تابوتاً أجمل منه ، وأنه يشبه توابيت الفراعين الفخمة . ضحك ست ، وهو يقول لي : "أردْتُ بهذا أن أزيل الجفاء بيننا . نحن أخوان . فلندفن الماضي" .

فرحتُ لكلماته . قلتُ له : "حقاً يا أخي . فلأضعْ يدي في يدك ، وليْنته ما بنفوسنا من شوائب الماضي" .

قال لي : كنتُ أود الزواج من إيزيس الجميلة ،فعاكستني الأقدار . ها هي نفرتارى تضارعها في الجمال . ذاك موضوع انتهى عهده" .

قلتُ له : "ما كان قد كان . أذكر ما قاله أبونا قبل أن يموت بقليل : لا تتباكوا على ما فات" .

نهض عن الأرض وأمسك بيدى ، جاذباً إياها بقوة لم أعهدها من قبل ، وقال : "هيا نتعاون على نقل الصندوق وتحكم على صناعتى" .

كان ست في غاية النشاط والحماس . وبَدَت نفرتارى في أحلى زينة . ونقلنا الصندوق من مكانه ، ووضعناه في صحن الدار . وشرعت نفرتارى في فتح الغطاء ، فانبرينا نساعدها . قالت : "انظر يا أوزوريس . ما أجمله!"

سألنى ست : "هل يتناسب طوله مع طولك ؟"

وجمتُ لحظات . شردت . فاسترسل يقول لى : "الأفضل أن ترقد يا أوزوريس لأرى ما إذا كان جسمك يدخل بكامله أم لا ، على أن تبسط ساقيك حتى أتأكد من المقاس . وإذا اختلف الطول ، طال أم قصر ، فسأصنع واحداً غيره" .

قلت له : "أعتقد أنه يناسبنى" .

وقلت مازحاً : "أنا أول إنسان يمدد جسمه الحى داخل تابوت ، وبكامل رغبته . من المعتاد أن يحمل الكهنة الجسد الميت ويضعونه فى رفق وهم يتلون الأدعية" . ومددتُ جسمى داخل الصندوق . بسطتُ ساقى كما قال ست ، فألفيته يضع الغطاء . حاولتُ رفعه ، فأحكم غلقه بسرعة عجيبة ، وجاهد قدر ما يستطيع حتى لا أحاول فتحه . صرخت : "افتحْ يا ست" .

لا أدرى ماذا حدث بعد ذلك ؟ هل رحتُ فى غيبوبة ، أم استسلمتُ للنعاس ، أم انتزعت روحى من جسدى ؟ لا أدرى ماذا حدث ؟ وها قد عثرتم على الصندوق الجميل ، صنع أخى ، طافياً على النيل ، وكان ما كان...." .

فى هذه الليلة غاب القمر ، واشتدت الظلمة ، فدخلا الدار وأويا إلى فراشهما . بدا على وجه أوزوريس الاعياء والقلق معاً . يبدو أن ما رواه عن ست قد ضايقه ، فبدا جَهْمَ الوجه . تحسست إيزيس وجه زوجها ، عساها تزيل الكآبة من محياه ، ثم سحبت الغطاء عليه . وظلت ساهرة ترعى حورس وتهدهده ...

أحس أوزوريس بست يتسلل إلى مخدعه . يطل الشرر من حدقتيْ

عينيه . يقترب منه ، محاذراً أن يُسمع له صوت . صاح مذعوراً : "ماذا تريد؟ " . ابتسم ابتسامته الماكرة ثم مد يديه إلى عنقه ، فصرخ أوزوريس ، صرخ بأعلى صوته ، ويداه تحاولان تخليص قبضتىْ ست من عنقه ، فأيقظه صراخه ، فألفى يديه عند عنقه . أفاق من الحلم . استيقظت إيزيس على صراخه . احتوته بذراعيها ودفنت رأسه المتعبة فى صدرها ، وداعبت أناملها شعره وهى تردد :

– إنه كابوس مزعج . ما أكثر أحلامنا المخيفة المفجعة . اهدأ بالاً يا عزيزى ، ونَمْ على صدرى .

– لا يهنأ لى نوم ..

– فى الصباح ، سأذهب إلى الكاهن ، عساى أجد عنده دواء للأحلام المزعجة .

أعطاها الكاهن بعض الحبوب لتضعها فى إناء نحاسى قرب مخدعه ، فتجتذب إليها الأرواح الشريرة ، الشاردة فى ظلام الليل ، فتتلهّى بها عن مضايقة أوزوريس !

الفصل الخامس

ذهب إلى نفتيس ، وكاد - لفرط أساه - يتعثر في سيره . دخل دارها العتيقة ، وأحنى الرأس احتراماً وعرفاناً بفضلها . وجلس إلى جوارها لا ينبس بكلمة . احترمت صمته قليلاً ثم قالت :

- أخالك أتيتني نادماً .

- علمتُ أنه خرج من الصندوق حياً .

- إن الأقدار تقف ضدك .

- نفّذْتُ خطتي بعد عرضها عليك .

صمتت . حدثت نفسها قائلة : "وماذا تنتظر مني أيها الشيطان ؟ لابد أن أسايرك ، حتى تأمن لي ، فأعرف نواياك وأحبط أفعالك ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

وإن لم أفعل ذلك ، ستتحاشى الكلام معى ، وتنفذ أفعالك الدنيئة بعيداً عنى ...".

ظلت تستمرئ الصمت .

قال معاتباً :

– لم أخط خطوة واحدة إلا بعد أن نلت بركاتك .

– بركاتى .. !

ولما أحست بلهجة الاستنكار ستغضبه ، عالجت الموقف بأن رسمت على وجهها المكتنز علامات الارتياح . قالت تؤمن على كلامه وتطمئنه :

– نعم .. نعم ..

أضاف معلنا خيبة أمله :

– كنت أظنها جريمة لا يكتشف فاعلها أحد .

تذكر شيئاً . صمت كمن لدغته عقرب ، قال لنفتيس :

– أوه .. ماذا قلت منذ قليل ؟

– تدبر أمرك بنفسك ..

قال وشرر الغضب يتطاير من بؤبؤ عينيه :

– أوه .. حقاً .. إن الأقدار تقف ضدى ، تعاندنى . صدقاً كان قولك . ألا ترين أوزوريس محظوظاً فى كل شئ ؟

وأمسك بكتفيها قائلاً :

– إنه محظوظ بحب إيزيس له .

أزاحت يديه وابتعدت عنه قائلة :

– لا تنس أنك محظوظ بحب نفرتارى لك .

– نفرتاري ؟ لم تكن مبتغاي ولا حلمي ..

جثا على ركبتيه ، وقبّل ظهر يدها . قال بصوت ممزوج بالبكاء :

– عشقتُ إيزيس كما لم أعشق إمرأة من قبل .

– عشقتَ جسدها ، ولم تعشق الروح ..

– أنا مجنون بعشقها ، مفتون بها .

جلجلت ضحكاتها ، لأول مرة ، في الحجرة شبه الخالية إلا من تمثال وأوان فخارية ومقعدين خشبيين . ضحكات أنثى متمرسة ، نضت عنها ثوب الوقار . قالت متهكمة :

– لا تنسَ يا ست أنك عشقتني أيضاً ، ذات يوم ..

تدارك قائلاً :

– حظي قليل في كل شئ . لعلي أكشف سراً . طفولتي تعسة أيضاً . استأثر أوزوريس بحنان أمنا ورعايتها . وكان أبونا يخطئ دائماً أفعالي وتصرفاتي ، ويمتدح أوزوريس في كل ما يقول ويفعل . وها أنا اليوم تكرهني إيزيس . أنتِ أيضاً تكرهينني ، رغم حبي لكما ..

– من يعشق أكثر من واحدة ، فإن قلبه لا يعرف الحب . هل أدلك على أخريات عشقتهن هذا العشق الجسدي الزائل ؟ هل أكشف المستور ؟

– وهل يعيب الرجل عشقه للنساء ؟ هكذا خلقت ، لا تكفيني واحدة..

– أنتَ تجري وراء ملذاتك . قلها صراحة . قد اختليتَ مرة بإيزيس ، فتملصت منك وأنقذت نفسها ، كدت تفعل معي الشئ نفسه قبلها ، وإن كنتُ غفرتُ لك وسامحتك .

– والآن ..

– أشفق عليك .

كأنه لم يسمع ما قالت . شرد عنها ورنا إلى تمثال نصفى لامرأة تتعانق ذراعاها ، وتبسط كفيها فى تضرع وخشوع . مر بأنامله على التمثال الرخامى الأملس ، وكان تجسيداً لوجه امرأة تأمل خيراً .

قالت نفتيس :

– حتى تمثال هذه العابدة .. لا تنعم نظرك بجماله وتتأمل دقة صنعه ، بل مددتَ يدك تتحسس الحجر ! أنت مادى النزعة ، شهوانى النظرة . لا تفهم عن المرأة شيئاً سوى هذا العناق الجسدى .

– لا ، يا أخت إيزيس .. إن أخى يهضم حقى ويتعالى علىّ ، وأحسّ أنه يتعالم !

– مجرد إحساس صوره خيالك المريض . لقد نصبت أخاك خصماً لك ، وأقنعت زوجتك نفرتارى بأن أوزوريس عدو لدود . وفى قرارة نفسك ، رغبة جامحة بالاجتماع بأختى .

– سأحافظ عليها . أنا مفتون بها ، مجنون بحبها .

– تنطق كذباً . عد إلى بيتك فقد بدأت الشمس تغرب ، ومثلك لا يؤتمن ..

جحظت عيناه . وانصرف دون أن يعقب بكلمة واحدة . وساورت نفتيس المخاوف ، فست يضمر فعلاً آخر من أفعاله الدنيئة .

الفصل السادس

ذات يوم ، خرج بمفرده يرعى الماشية فى أرضه الخصبة . كان قرص الشمس يميل إلى الاحمرار إيذاناً بالغروب . ومكثت إيزيس بالدار ترعى حورس وتنهى أعمال البيت .

هجمت جحافل الظلام ، ولم يعد أوزوريس . خرجت تبحث عنه فى كل مكان . سألت الحراس فلم يطمئنوها ، وانتشروا باحثين عنه . نادت عليه ، عساه أغفى فى مكان ما . ربما نال منه التعب ، فاستسلم للنعاس .

غزت الدموع مقلتيها . نادت عليه بأعلى صوت . يكاد الصراخ يمزق ضلوعها ، ولامجيب غير الصدى. ارتمت على الأرض اعياء ، ويداها تنشران

التراب . ولم يهدأ نشيجها ونحيبها . ظلت تبكيه ، وفى صدرها يهجس خاطر مخيف بأن مكروهاً أصابه . تتعلق بخيوط أمل واه ، وتنثر التراب – المزيد من التراب – من حولها وهى تصيح :

– أين أنت يا أوزوريس ؟ أيا نفحة العطر تنتشى بها أنفاسى . قرة العين أنت ، وحبة الفؤاد . أين أنت ؟

افترشت الأرض، وراحت فى اغماءة لم تفق منها إلا على صوت زقزقة العصافير على فروع الأشجار . وتنفس الصبح فانتشى صدرها بأنسامه الرقيقة . وخيل إليها أن ما حدث مجرد حلم ، يبدده صبح يوم جديد . لكنها تنبهت سريعاً ، فأوزوريس لا تعرف أرضاً له ، وما حدث بالبارحة صورة مريرة للواقع . هل نفذ ست فعلته الدنيئة ، أم أن رياح الموت أصابته غب هبوبها ؟ أهو الموت المقدر حل بزوجها ، أم هو الغدر المبيّت ؟

زاد من مخاوفها هلع نفتيس وقلقها الشديد . نصحتها بأن تتقى شر ست ، وتنصح أوزوريس بالابتعاد عنه . كأنما فر قلب إيزيس من صدرها ، وطار حمامة خائفة مذعورة .. فقد سبق السيف العزل ، ولم يعد زوجها إلى الدار . تكاد تشم رائحة الغدر تزكم أنفها .

تنهدت نفتيس وهى تقول دفعة واحدة :

– يا أختاه .. إن ست رجل أحمق ، يأكل الحقد صدره ، فوجهه نحت من صخر ، ووجه أوزوريس قمر مضئ . قد أعيا ست أبويه وهو صغير ، كم تعبا فى تربيته ، وفى نصحه وإرشاده ، بينما شب أوزوريس وديعاً ومطيعاً .. ليس ست إلا فحل شديد الانجذاب بشهوته الحيوانية إلى أى

أنثى، فاسودّ وجهه ، وأقفر قلبه ، وانغلق على نفسه . أما أوزوريس فروح طائر خفيف الظل والحركة ، يهيم فى سماء صافية بوجه بشّ وقلب عطوف.. نقى ..

تنهدت نفتيس وأضافت :

– أختاه .. ما أشد الفارق بين الأخوين .

ولم تطق صبراً . قد استنفرتها كلمات أختها ، فجدّت فى البحث عن ست . دلها أناس إلى وكر يختبئ فيه . توسلت له أن يردّ لها قلبها ، ويأخذ ما يريد . ابتسم فى خبث ودهاء ، وقال متظاهراً بالأسى :

– ليس بيدى شى ء أفعله . هو الإله الجبار الذى أراد معاقبته .

دنا منها . تملى وجهها النورانى ، وهمس فى أذنها حتى لا تسمع زوجته:

– بحق حبى لك ، لا أعرف شيئاً عنه .

– حبك لى ! أتدّعى أنك يوما أحببتنى ؟ أنت اشتهيت جسدى ، ولم تعشق روحى . ذات يوم .. أتذكر ذلك اليوم ؟!

انتفض مذعوراً . أغلق فمها بكفه الغليظة ..

– صه .. أو اخفضى صوتك حتى لا تسمع نفرتارى .

أكملت بصوت خفيض :

– حاولت انتهاك جسدى ، وكنت وحشاً همجياً ، فقاومت ، ونشبت أظافرى فى وجهك الكريه ، ودفعتك عنى .

ثم قالت بصوت عال :

- أنسيت يا ست ؟ فأى حب تدّعيه ، وقد أكل الحقد قلبك ؟

أقبلت نفرتارى وسهام الغضب تنطلق من عينيها :

- لو أذن لى زوجى ، لحطمتُ رأسك . كيف تجرأتِ ؟

قاطعها :

- دعيها يا عزيزتى ..

- تستغل طيبة أخيك . هل لك مآرب أخرى ؟ ألا تشعر بالخجل ، وهذا أخوك يقدس صلة الرحم؟

قال غاضباً :

- فى هذه المرة ، لم ألحق الأذى بأخى . كفاكِ تقريعاً ، واحتكمى للكاهن الأكبر .

وعقبت نفرتارى :

- أكلما حدث مكروه لأوزوريس ، يُتهم زوجى ؟ اذهبى لحالك ودعينى وزوجى ننعم بحياتنا .

وقبّلت جبين ست ، الذى راح يقهقه قهقهات عالية :

- ما أجمل الحياة !

دوىّ القهقهات كصوت أحجار الجرانيت ، تتساقط تباعاً من حالق ، فتخرق طبلة الأذن ، فأولتهما ظهرها وأدبرت عائدة إلى دارها ، مسكونة بالحزن والألم .

الفصل السابع

أتتهـا فلاحة تحمل لهـا قمحـاً فى سلة من الخوص .
تجاذبت معهـا حديثاً قصسيـراً . أشارت الفلاحة إلى
عراف يستطلع الغيب ويكشف المستور .
لم تكن على يقين بأن العراف سـيفعل شيـئاً ذا بال .
لكنهـا رأت أن تجرب. بارقـة أمل ضعـيف .. فمـاذا
بيدها تفعل غير التشبث بخيوط أمل واهية ؟
ذهبت إلى العراف العجوز حـور ، الجالس القرفصاء
عند باب معـبد صغيـر . سألته عن زوجهـا الغائب ،
فـاسـتـوضـح منهـا بعـض الأمـور ، فكانت الإجـابة
عـسيـرة . إنه يسألهـا عن ظروف ميـلاد أوزوريس .
فكيف تجيـبـه وهى تجـهل بـالطبع ؟ ثم تذكـرت أن
حماها كـان يكرر دائماً أن ابنه ولد ذات ليلة ضحك

فيها القمر ، وأن العناية الإلهية قد وسدته فى فراش وثير .

سألها العراف عما تكرهه فى زوجها . استنكرت السؤال ، فاكفهر وجه العراف . قال بصبر نافد :

– إذا لم تجيبى ، فلا إجابة عندى لما تريدين . ولتنصرفى .

– أرجوك ..

– إذن ، تكلمى ..

حدقت فى وجهه الذى زاحمته التجاعيد ، وقالت باكية :

– مـاذا أكـره فى أوزوريس ؟ عـفـواً أيهـا العـراف ، أنا لا أحب طيـبـة زوجى.

– يعنى أنك تكرهين طيبة زوجك !

– الكراهية كلمة مقيتة . لم أكره أوزوريس قط . ولكى أطيب خاطرك ، ذكرتُ ما لا أحبه فى زوجى .

– وهل الطيبة تضجرك ؟

– هى سلاح فى أيدى خصومه .

– ومن هم خصومه ؟

– أخوه ..

– أخوه خصمه ؟!

وأطرق فى أسى ، ثم قال مشفقاً على إيزيس :

- ابنتى الجميلة .. كيف تصير دنيانا إذا لم تتجمل بالقلوب الكبيرة والنفوس العظيمة ؟ كيف تتصورين دنيا المشقات بدون رجال طيبين ؟

- الطيبة تجبر المرء على التقهقر إلى الوراء ، والاندحار أمام مكائد الأشرار .

- أوزوريس الرجل الطيب ، هو الحياة المتجددة فى زمان ردئ .

وأخرج من سترته أوراق البردى ، وراجع فيها بعض الطلاسم والرموز المرسومة . وبعد أن استقرأ الطالع ، قال :

- ابنتى .. تجلدى ...

انخلع قلبها .

- ابنتى .. تجمّلى بالصبر ...

- هات ما عندك . لقد أرعبتنى ..

- ماذا أقول ؟ بعد أن تقطع جسد أوزوريس ، وتناثرت أشلاؤه فى أماكن متفرقة .

بكت . ولولت . صكت صدرها . تعالى الصراخ ، دوى فى الصحراء الممتدة الواسعة . نادت عليه ، عله من عالمه البعيد يطل عليها . ماذا تفعل وقد تبعثرت أشلاؤه ؟ وكيف للطائر إذا أتى أن يحل بأجزاء مقطعة متباعدة؟ قد تقطعت أوصال الجسد ، ولم يحنط ؟ حاول القاتل أن يضيع الأثر ، ويولد الشك فى نفوس الناس .

آه يا نفتيس . صدقتِ يا أختاه فيما قلتِ .. فست رجل أحمق يأكل

الحقد صدره .

تحسس حور العرّاف شعر ذقنه الأبيض الأسود ، وربت على كتفها .
جاهد كي يفيقها من نوبة البكاء وحدّة الولولة .

– ما عهدناك إيزيس تضعفين فى المحن والخطوب ، وأنتِ المرأة المصرية الصامدة . يعرفَك أهالى الوادى ، فى شماله وجنوبه ، بعد أن أصبحت قصتك على كل لسان .

أصغت لكلمات حور ، وهى تجلس أمامه القرفصاء ، دافنة وجهها ما بين ذراعيها المنعقدين . رفع حور وجهها بيده المرتعشة ، فتبدّى بياضه صورة للجمال لم يبدعها مصور ، وقطرات الدموع على خديها تتلألأ كاللآلئ الصافية وقد انعكست أشعة الشمس عليها فزادتها لمعاناً وتألقاً .

قال حور :

– أنت يا إيزيس سنبلة قمح فى أرضنا الطيبة ، وقطرة ماء من نيلنا العذب . أنتِ الضحكة العذبة فى وجوه أطفالنا .. أنتِ .. يا أنتِ .. نبع الحياة أنت يا إيزيس . فاصبرى صبراً جميلاً ، لعل ما هو آت يحمل البشرى. وإذا ما أفل النجم فعلينا أن ننظر إلى مئات النجوم المزينة بها صفحة السماء . انهضى يا إيزيس . اخلعى ثوب القهر . أثبتى للحاقدين أنك الأقوى . فوّتى الفرصة على الذين اغتصبوا الضحكة من ثغرك الجميل. فحورس الصغير هو الأمل . حورس الجميل هو رجل الغد ، المنتقم لأبيه.

أفاقت .. منتبهة لكلمات العراف عن فلذة كبدها ، فعاد لقلبها نبضه ...

– نعم .. قلتَ الحق يا حور . سأربى حورس وأرضعه لبن الانتقام لأبيه. لكننى .. أوه .. لستُ أدرى ما بى .. أحس أن معجزة سوف تتحقق ، ويعود إلىّ أوزوريس . عفواً ، سيدى العرّاف ، بداخلى هاتف يحدثنى ، يستحثنى لمقاومة الشر وعدم الاستسلام ، ورفض المكيدة والانتصارللحق . وما عاد أوزوريس زوجاً لى فحسب ، لكنه رمز لكل حق مغتصب فى بلادنا ، وكل خلق طيب لأبنائها . هاتف داخلى يطمئننى بأن زوجى حى!

توجهتْ إلى المعبد .شخصتْ إلى التماثيل المنتصبة فى صفين متقابلين . التماثيل متشابهة . نفس الابتسامة الهادئة على وجوه التماثيل ، وقد نحتها فنان مبدع . الوجوه الحجرية مشرئبة إليها وهى تخطو خُطاها المتئدة ، رانية إليها ، وجها وجها ، كأن ما بصدرها من شجن وأنين ، تتنصّت إليه التماثيل بلغة الصمت والسكون ! أحيت الابتسامة الهادئة الأمل ، فأحست ببصيص ضوء يتسلل بخفة إلى صدرها المثقل بالأحزان . اجتازت التماثيل ، وقادها دهليز طويل إلى المعبد الذى ارتفعت أعمدته الضخمة . أمعنت النظر فى الرسوم الملونة المزينة للجدران ، ورفعت كفيها تدعو لأوزوريس ، وتأمل أن يعود ، عودة الروح إلى الجسد الهامد الذى لا حسّ فيه أو حراك !

أقبل نحوها عرّاف المعبد ، ذو لحية قصيرة ، وثوبه أبيض من قماش رخيص . قال بصوت هادئ :

– ها قد عدت يا إيزيس . تنوئين بحمل لا تقدر عليه الجبال . إن الشرور طاغية والآثام أزلية . لكن أوراق البردى التى خلفها الأولون تجعلنى لا أيأس ، وعلينا جميعاً زرع بذور الخير ، وإتاحة الفرصة لها كى تنمو وتترعرع ، فالخير باق فى أراضينا الخصبة ما بقيت القلوب تنبض .

قالت إيزيس بصوت ملتاع :

- لن أيأس أيها العراف الجليل . سأجوب القرى والأودية ، باحثة عنه . وسوف أجمع أعضاءه ، عضواً عضواً ، بما تبقى لدى من عزيمة وأمل فى الحياة !

توجست خيفة من صمت العراف . لم يعقب بكلمة . قالت مذعورة :

- وإذا ما جمعت أعضاءه لم ينقص منها عضو ، فهل تعود إليه روحه؟! أيها العراف ، اخرج عن صمتك وأجبنى !

- إيزيس . لا أملك شيئاً أفعله من أجلك . اعتصمى بإيمانك ، واستحضرى روح أوزوريس فيك . كونى مؤمنة بأنه يعيش فى قلبك ونفسك ودمائك ، وفى ولده حورس . ولا يتأتى ذلك إلا بإيمانك بأن أوزوريس - وإن قطع جسده وتبعثرت أشلاؤه - باق معنا ، حى نستلهم تعاليمه وكلماته ، ونستضئ بطهره ونقائه ، ونستظل بطيبته وسماحته . أليس هو القائل : إنى متفائل بالحياة ، بكل مظهر من مظاهرها ، وبكل أسبابها .. ؟ متفائل بالماء والهواء والشمس والنبات والحيوان والإنسان ، ولا أجد وسيلة للتفاؤل تعلو على الحب .

فرحت بكلمات حور . قالت له :

- وهو القائل : هيا نطهر نفوسنا وننقيها من الشوائب ، ونصفو أخوة متعاونين متآخين متراحمين .

لم يضعف إيمانها ، وانتصرت للفكرة الملحة ، وصممت على جمع الأشلاء ! فعندها أمل لا يفتر ، وعزيمة لا تضعف ، وجذوة لا تخبو .

جـابت القطر من واد إلى واد . وسـاعـدتهـا الأقـدار فى أن تعـثـر على أشـلائه ، وسـاعـدتهـا نفـتيس والأهالى . تـعاطـفت كل القلوب المحبـة لأوزوريس . تضافرت الجهود وتعاون الجميع . لم تعد إيزيس وحدها . وما تؤمن به ، نبضت به قلوب النـاس من حولها . فسـرت روح جديدة بينهم ، وفى حشاش الصدور اعتقاد بأن ما يسعون إليه ، هو انتصار للحق والخير .

قال رجل يشتغل بالصيد :

- أهب روحى من أجله !

ترددت نفس الكلمـات على ألسنة النـاس الطيبـين فى كل مكان وطأته قدماها .

الفصل الثامن

تقف إيزيس أمام الأشلاء المقطعة ، الموضوعة فى
صندوق صغير مغلق . أعيتها الوسيلة . جمدت فترة
غير قصيرة ، كأنها تمثال صُنع من رخام ، ومن حولها
يتحلق أهل البلدة ، مشفقين عليها . يحاولون
التحدث معها ، لكنها ذاهلة عنهم وعن دنياها
شاردة.

فى لحظات العجز الإنسانى إزاء قوة خارقة ، يكون
التفكير - مجرد التفكير - نوعاً من اللهو والعبث !
ويغيب المرء عن عالمه ، ولا يجديه التفكير فى شئ .
أهو الهروب من قوة طاغية ، أم هو الضعف
والعجز؟!

تحركت خطوات ثابتة ، وفى ملامحها شئ من

الجمود، حتى وصلت إلى شاطئ النيل ، فطفقت تعبّ بيديها من مياهه ، ورشّت الماء على الأشلاء المبعثرة قيد خطوات من الشاطئ . والناس من حولها يراقبون في يأس ، ويتمنون شيئاً بعيد المنال . يصدمهم الواقع،فيأملون في امتثال إيزيس لحكم القدر .

تنبهت قليلاً إلى ما حولها ، عندما رشّت نفتيس ماء النيل فوق رأسها . عاودتها نوبة بكاء حادة . غسلت الدموع وجهها . ولما لم تقو على الوقوف ، ارتمت على الأرض في اعياء شديد ، فحملها اثنان من الواقفين وأجلساها عند جذع نخلة ، فاءت عليها بالظلال . نهضت فجأة وقد استنفرتها قوة غامضة . ارتفعت بقامتها تصوب نظراتها إلى عنان السماء ، إلى الشمس ترسل أشعتها من خلال سعف النخيل .

استردت وعيها ، أحست بجسمها يخف وزنه ، وبأنها فراشة تطير محلقة في السماء ، أو أنها تحولت إلى أشعة ضوئية . تمتمت شفتاها بكلمات غامضة لا يفهمها أحد . تنادي القوة الجبارة . تتوسل إليها أن يرجع زوجها حياً ! .. يمشي على ساقيه ، يحرك ذراعيه ، يراها بعينيه ، وينبض قلبه حباً لها !

وراحت في غيبوبة ، وقد صوّر لها الخيال حلماً غريباً !

....

تتقارب الأشلاء فيما بينها . تلتئم الأعضاء . تسري رعدة مفاجئة تُعمي الواقفين عن ملاحظة شئ . لم ينتبه أحد إلا حين رأوا أوزوريس واقفاً أمامهم ، جسداً حياً ليس به أثر جرح ، وإن حفر الألم أخدودا عميقاً في

ملامحه وقسماته ! تتجه عيناها إلى السماء . يرفع يديه شاكراً ممتناً . تتحول العينان إلى إيزيس ، الشمس المشرقة . تحتضنه بقوة . تعتصر جسده . وتهرع إلى النيل ، تغتسل فى مياهه فرحة .

هل كانت مياه النيل سبباً لما حدث ، أم هو القدر الذى شاء أن يُعيد الرجل الطيب إلى الحياة ؟

- أوزوريس .. هيا إلى المعبد ، نركع ونشكر ..

والتفتت إلى الناس هاتفة :

- هيا جميعاً . اليوم عيد . نتقدم بالقرابين ونصلى شاكرين .

وسارت القافلة مجتازة وادى النخيل ، مبتعدة عن الضفاف . تنهب الأقدام الطريق عبر صحراء ممتدة ، قاصدين المعبد بعد أن انكسرت حدة الشمس .

وفى رواق المعبد ، وقف أوزوريس وقد تحلق الناس من حوله :

"أيها الناس .. دنيانا دنيا مشقات . نحمل أوزارها وخطاياها . وخيرنا من يزهد العيش ويلجأ إلى الحكمة . عذراً يا إخوان . قد صرت شيخاً مكدودا ، وإن لم أتجاوز الأربعين .. صدقونى .. لستُ مبتهجاً لهذه الحياة ، ولا أنا فرح بها . قد أضنانى الإفك والدس والخيانة ، من أقرب الأقربين . ولستُ بمصدق أن أخى ست ، ابن أمى الطيبة ، سيكون شريراً بمنتهى القسوة . ولستُ بمصدق أن عالمنا ملئ بالشرور والآثام .

ماذا لو طهّر كل منا نفسه من الأحقاد ؟

ماذا لو عمرت القلوب بالخير والرحمة ؟

آه لو ندرك أن أعمارنا قصيرة ، وأن خيرنا من نطق لسانه بالصدق ، ونبض قلبه بالحنان . كما أن خيرنا من قدم العون لأخيه بدون مقابل . لهذا، وبرغم حماقة ست ، فإنى أطلب له الرحمة" .

خطب الكاهن فى الجمع المحتشد ، يعظهم عظة الدنيا والنهاية المحتومة، ويُعلى من قدر أوزوريس ، وينبههم إلى أنه قد سما إلَى منزلة القديسين . وختم خطبته قائلاً :

"يجب علينا أن نبنى لأوزوريس هرماً يضم جسده الطاهر فى رحلته إلى الحياة الأخرى" .

استند أوزوريس إلى جدار المعبد . تنفس هواء بارداً منعشاً . طلب من زوجته أن تعينه على السير عائدين إلى بيتهما . قد استبد به الشوق لرؤية حورس ، الذى تركته أمه مع مربية تسكن بالقرب من دارها .

لم يعد زوجها بكامل نضارته ، وإنما هزمته الخديعة ، فبدا حطام جسد أنهكته معارك الحياة ومحنها . فوجئت به يهمس فى أذنيها :

– أتمنى الانتقال إلى العالم الآخر الأرحب ، وأترك دنيا الشرور والآثام بغير عودة !

– تريد مفارقتى .. لا أتصور أنى سأعيش من بعدك يوماً واحداً ..

– أحس أن نهايتى قريبة . وأن الموت سيف مسلط على رقبتى . كما أحس بشبح مجهول يريد أن يستل الروح من جسدى . فهل أنا قادر على مقاومته ؟ لا ، بل أنا سعيد بذلك .. وأقول له أسرع ، حتى تحلق روحى فى الفضاء الواسع ، وتتحرر من قيودها .

– وما أجمل هذا الفضاء إذا سبحت فيه روحانا متعانقتين . أنا لا أطيق الحياة من بعدك .

– قد أحببت الحياة من أجلك يا إيزيس . لكن رحلتي في هذه الدنيا أوشكت على الانتهاء .

– أتتركني أواجه أخاك الشرير وحدي ؟

– قاومي الشر . لا تستسلمي . قاومي ، وقاومي ....

– هل أقاومه وحدي ؟

– تركت لكِ فلذة كبدي حورس . إنه قطعة مني ، تواصل مسيرة الحياة من بعدي .

وما إن وصلا إلى دارهما ، سارع يحتضن حورس ، ويداعبه ، ثم يهمس في أذنه بكلمات حانية .

طلب جرعة ماء . ناولته القدر الفخارية . ارتشف قليلاً من الماء ، فأحس براحة وانتعاش .. وتمدد على الفراش مستسلماً للنوم .

....

أفاقت كمن لدغتها عقرب . فزعت .الواقع المؤلم يوجع قلبها . أوزوريس أشلاء مقطعة مبعثرة . احتضنتها نفتيس قائلة :

– أختاه . أوزوريس يعيش بيننا ، بطيبته ونصائحه وروحه الهائمة . وهذا حورس صورة من أبيه .

ضمت حورس إلى صدرها . احتضنت الصغير بقوة ، بينا انبجست

الدموع أنهاراً من عينيها .

غسلت الدموع وجهها وشعر حورس . رنا الطفل بعينين متسائلتين إلى وجه أمه الباكي ، وراحت أصابعه تداعب شعرها ..

الفصل التاسع

مرت خمس سنوات على فراق أوزوريس . عاشت خلالها على ذكراه . وإن كانت لا تعفيه من الخطأ ، فقد كان مسالماً لأبعد حد ، وكان ديدنه ألا يؤذى أحداً . فما الحال إن كان الغريم أخاه ؟ وكلما مر طيفه على الخاطر ، استفزها حافز قوى بأن يشب حورس قوياً ، فعمدت إلى تربيته جسمانياً ، وبث فيه روح الشجاعة والاقدام . واستثمرت رغبة الصبى - البالغ من العمر سبع سنوات - فى اللعب واللهو ، فشجعته على ممارسة التمرينات الرياضية فى الجرى والقفز ، وجعلته يصاحب صبياً فى مثل سنه ، يُدعى توت ، حيث كانا يلعبان معاً . ولما كان أوزوريس أميل إلى العزلة ، رأت أن تربى ابنها تربية جديدة ،

تهدف إلى الاختلاط بالناس ومسايرة أحوالهم ، إلى جانب الأخذ بأسباب القوة . وبدأت تستسلم للواقع الذى تعيشه ، وتلتئم جراحها شيئاً فشيئاً ، وساعدها على ذلك أن ست لم يحاول الاحتكاك بها أو مناوئتها . فبعد فداحة الخطب ، وحقارة الجرم ، أبعد ست نفسه عن الأنظار ، ربما خشية من بطش فرعون ، لكن قوارص الندم حددت له مسلكاً انعزالياً ، فأحس بالراحة فى البعد عن الناس ، كلما وجد إلى ذلك سبيلا . ولم تسمع إيزيس عنه شيئاً ذا بال . غير أن نفتيس التقت به غير مرة ، وأدركت أنه يعض بنواجذه ألماً وحسرة . قال لها ذات مرة :

– أكاد أكذب نفسى . أكاد أرى أن شخصاً آخر هو قاتل أخى !!

وانهمرت دموع سخينة من عينيه ، وهو يغمغم :

– لا أدرى أى روح شريرة تقمصت جسدى . سكننى شيطان أحمر ، واستخدمنى فى تنفيذ الجريمة النكراء .

– ما عليك من كل هذا . هى حجج واهية تبرر بها جريمتك .

– وانصرفت عنه ، تاركة إياه فى وحدته وعزلته .

وكثيراً ما تسأل عن حورس ، وتوليه رعايتها . وما من مرة تزور أختها ، إلا ويهرع إليها حورس ، فتحتضنه وهى تقول له :

– أنتَ صورة من أبيك .

تستنفر إيزيس الكلمات ، فتقول فى حماس :

– لا .. لا .. أريده صورة مغايرة ، أريده رجلا قوياً . وأريد أن أنزع من قلبه الرحمة !

- وهل القوة فى أن يكون بلا قلب ؟

- أختاه ، إنى أخشى عليه من غدر الزمان .

وينسل حورس من بين ذراعىْ نفتيس . يتركهما يتحاوران ، ويتجه ركضاً إلى حجر ضخم فى الرواق الذى كانا يجلسان فيه ، محاولاً زحزحته . تفرح إيزيس ، مشيرة بأصبعها إليه ، قائلة لأختها :

- انظرى إليه .. ها هو يدحرج الحجر ..

لكن الصبى انكفأ على وجهه ، عندما اصطدمت قدمه اليمنى بالحجر . أحس بالم ، وأتاه صوت أمه :

- قم يا حورس .. انهض .. وابدأ من جديد .

ينهض ملتفتاً إليهما ، فرحاً بأنهما يشاهدانه وهو يمارس لعبته الجديدة . يعيد الكرة ، باذلاً جهداً أكبر . ينجح فى دحرجة الحجر مسافة أكبر ، ساعدته استدارته ، ثم تنادى عليه ليستريح ، ويتناول معهما الفطير والفاكهة.

***

ومن أمتع الأوقات عند حورس ، قدوم جارته مُوت تصحب ولديها توت ونيت . تجلس موت مع إيزيس يتبادلان أطراف الحديث ، بعد أن تنكسر حدة الشمس وحتى تميل إلى الغروب ، ويحمرّ قرصها المتوهج . فى تلك السويعات ، يجلس حورس فى صحن الدار مع توت ونيت ، يتلاعبون بالأحجار الصغيرة ، ثم يمارسون لعبة الجرى والقفز ، و(النطة) ، بادئين اللعب فى صحن الدار ، ثم يخرجون إلى الطرقات الطويلة حولها ،

كمـا يلعبون لعبة (الاستـغماية) المفـضلة ، إذ تقوم نيت بربط عـصابة على عينى حورس ، وعصابة ثانية على عـينى توت . وتراوغهما حتى لا يمسكان بها ، ودليلهمـا صوتها وهى تنادى عليهمـا ، متحدية مهارتهـما فى الإيقاع بها، بلمسها أو الإمساك بها ..

- أنا هنا ، يا حورس ..

فيـجرى حـورس جهـة الصوت . وكـان يجرى فى الاتجـاه الصحـيح ، مرات كثيرة ، حيث تستند نيت إلى جدار ما ، وحين تحس به يكاد يلمسها ، تتحرك إلى الجدار المقابل ، وهى تنادى فى مكر :

- توت ، يا مسكين .. هل تستطيع الإمساك بى ؟

فيتـحرك توت جهة الصـوت ، لكنها تراوغه مثلمـا راوغت حورس من قـبل . ويستـمـرون فى اللعبـة ، وتنتـهى بأحد أمـرين : إمـا ينجح توت أو حورس فى لمسهـا أو الامساك بها ، وتنتـهى اللعبة . وإما يصطـدم أحدهما بجدار صـدمة تصيب رأسـه ، فيكتفـون بذلك ، ويعودون إلى الدار ، وهم يتعاتبون . لكن توت وحورس يعجبان كثيراً بمراوغة نيت ، ومداعبتها لهما، ويقـضيـان بقيـة الوقت فى سرد حكـايات خرافـية ، بما فـيهـا من عجـائب وغرائب تستميل الصغـار ، وهى حكايات سمعوها من الكبار . وحين تأذن الشـمس بالمغـيب ، تنصـرف مـوت وولدها ، تاركين إيزيس تراجع هيـئة حورس وملبسه ، وتطلب منه الاغتسال وتغيير الثياب .

حـقاً ، هى أوقـات ممتـعـة ، والأكثـر امـتاعـاً لحـورس تلك المرات التى تصحبه أمه فى زيارتها لجارتها مُوت ، حيث يطيب لتوت ونيت أن يصحباه

إلى غرفة نومهما ، ويلعب معهما بلعب لطيفة مسلية ، ويطلعانه على رسوم طباشيرية على لوحة خشبية ، ويمرن نفسه برسم صورة لحاملات الدفوف ، تلك الصورة التى شاهدها كثيراً ، وأعجب بها . لكن الأخوين توت ونيت يتضاحكان حين يحتار فى رسم الأذرع الممسكة بالدفوف ، ووضح أن الأخوين أكثر مراناً على رسمها منه . وتكف نيت عن الضحك فجأة ، هامسة فى أذنه :

– دعنى أعلمك كيف ترسم .

وتتناول أصبع الطباشير ، وترسم فتاة تحمل دفا ، وفى كل خط ترسمه ، تتوجه إليه بشرح وتفسير .. كيف يرسم الذراع مرفوعة ، بخطوط مائلة متوازية .. و ..

– حاذر من أن ترتعش يدك وأنتَ ترسم هذه الخطوط .

كما توضح له كيف يرسم استدارة الدف مع مراعاة تناسب المسافة بين وجه الفتاة والدف ، وتعلمه كيف يرسم أصابع اليد اليسرى وهى تمسك بالدف ، وأصابع اليمنى وهى تدق عليه . يضحك توت قائلاً لحورس :

– إنها تقول لك نفس الكلام الذى تسمعه من أبيها وهو يعلمها الرسم ، وتقلده فى حركاته .

– لكنها تعلمت فعلاً الرسم الجميل ، وأتقنته .

ويسأل توت :

– ألا يعجبك رسمى ؟

فيجيبه حورس :

- لكن رسم نيت أروع وأجمل ..

تضحك نيت لهذا الاطراء ، وتخرج لأخيهـا لسانها ، فى حركة إغاظة .
وينصرف حورس مع أمه ، عازمـاً على تعلم الرسم وفى ذهنه أفكار كثيرة .
يقول لأمه :

- أريد لوحة وطباشير ..

- هل تحب الرسم ؟

- أريد أن أرسم فتاة تدق على الدف .

- هل تعرف ؟

- سأحاول ..

الفصل العاشر

أصبح حورس فتى يافعاً ، وهو بين أقرانه من الفتية الأكثر وسامة وذكاء وهدوءاً . فكان محط الأنظار . يذهب إلى ساحة الملاعب ، ويتبارى مع أضرابه فى الجرى ورفع الأحجار الثقيلة . كما يتبارى مع توت ، وكان يكسب الجولة فى أغلب الأحوال . ولم يكن توت ضعيفاً ، وإنما هيأ نفسه أحياناً في أن يكون أداة اختبار لقوة حورس . وكثيراً ما وجّه حورس إلى نواحى الضعف والقوة فى منازلة الخصم ، فيما يعدّ تعليماً مقصوداً . لكنه ذات مرة ، نازل حورس نداً له، فهزمه بأن أوقعه على الأرض ، وضغط بقدمه على صدره ، ولما حاول حورس أن يسيطر عليه بالامساك بقدمه ، عامداً إحداث خلل ما يفقده

توازنه، عاجله توت بركلة قوية صرخ منها وأخذ يتلوى ألماً مبرحاً . قال له توت :

- محاولة جريئة منك أن تعوض هزيمتك بهذه الحركة ، كي تتمكن منى وأنا فى وضع المنتصر . لكن توقع أن يكون خصمك يقظاً وقوياً .

أفاق قليلاً وقال لتوت :

- من البداية ، من الخطأ أن أعطيك الفرصة لتطرحنى أرضاً . ما عليك من كل هذا . فلنسترحْ قليلاً ، قبل بدء الجولة الجديدة ، فالجو ممتع مشمس ويغرى بالمنافسة .

ونهضا من جديد ، يتمرنان على تصويب الأهداف بالنبال . وأخذا يرشقان سهامهما فى نخلتين على بعد مسافة تقدر بخمسين ذراعاً . وبعد أن نفدت السهام ، أخذا يحصيان ما أصاب النخلتين . ونظر كل إلى الآخر متضاحكين ، فقد نجح حورس فى تسديد خمسة سهام ، وكذلك توت أصاب نخلته بخمسة أخرى . وتعانقا فى فرح لأن نسبة التصويب فى هذه المرة عالية . وأكدت النتيجة أنهما على مستوى واحد من التدريب . وارتاح حورس لهذه النتيجة ، بعد انتصار توت عليه فى مباريات العراك . وألفى نيت تتقدم نحوه ، تهنئه بالنتيجة . صافحها مبتسماً ، ونفسه تحدثه أن يعانقها. وظل قلبه يدق دقات متسارعة ، ويده تشد على يدها ، وانتشى بدفء المصافحة ، وروعة اللقاء ، وما زالت عيناه مشدودتين إلى عينيها العسليتين .

مدت يدها بالفطير ، فامتدت يده وعيناه تتعلقان بعينيها الكحيلتين .

وقبل أن يشكرها ، سأل توت:

– أين الحليب ؟

– جاهز فى القدر . تعالا نجلس تحت شجرة الجميز ، واستظلا بظلها .

قال توت :

– هيا صديقى حورس نلتقط أنفاسنا ، ونستريح قليلاً ، قبل أن نبدأ جولة جديدة بالنبال .

فرشت نيت بساط الخوص عند الشجرة ،ووضعت عليها قدرين فخاريين مملوءين باللبن وقدراً به عسل ، بالإضافة إلى شطائر الفطير . كانت وجبة شهية ، إلا أن حورس ظل رانيا إلى عينين جميلتين أشهى من العسل . هما عينان عسليتان حار فيهما ، كأنه يقرأ آيات من الحسن فى نظراتهما . قالت نيت لأخيها مازحة :

– لا تأكل نصيب حورس ، مستغلاً صمته وشروده .

أسقط فى يده . ارتبك . تنبه وأشاح بعيداً عن عينيها إلى الأفق المترامى ، قال مبرئاً نفسه :

– لستُ شارداً ..

قالت نيت فى دلال :

– هكذا أنت ، إما تحدق فى عينىّ أو تبحر شارداً فى الأفق .

قال توت :

– توقفا عن لغة العيون ، وهيا نأكل ، فالبطون جائعة ..

قالت نيت :

- لكل عدد من البيض مساو لعدد السهام التى أصابت الهدف . ولحسن الحظ قد تساويتما اليوم فى عدد البيض الذى ستأكلانه . خمس بيضات لتوت وخمس لحورس .

استهام بصوتها الحانى وهو يردد اسمه منغما موسقا . ردد فى خاطره : "هما عيناك .. شردتُ فيهما .. ".. وردد لسانه :

- شكراً يا أخت توت ..

ضحكت ضحكات مجلجلة ، وقالت :

- لماذا لا تنادينى باسمى ؟ ألا تعرف اسمى ؟

- أعرف .. يا أخت توت ..

وتضاحك الثلاثة . قال توت :

- هيا صديقى نبدأ جولة جديدة ، ودعك من مشاكسات نيت . إنها تستدرجك إلى تراشق بالكلمات ، وأنا أدعوك إلى تراشق بالسهام .. فالجو ممتع مشمس ويغرى ببدء الجولة .

- لنكتفِ بهذا القدر ، فالوقت قد حان للذهاب إلى المعلم نون .

وتأكدا بقياس الظل ، فتأهبا للذهاب إلى المعلم ينهلان منه فنون القول والخطابة والحكمة . ولم يكن نون معلماً لفنون الكلام فحسب ، وإنما يحرص على شرح قصة الخلق ، ونشأة الكون ، كما أنه ملم بعلوم الفلك وحركة الأجرام . لذا يعدّ فاهماً لفنون المعارف بشتى ضروبها وصنوفها .

ويعمد توت إلى طرح أسئلة كثيرة ، فينبرى نون للإجابة عليها ، بينا يكثر حورس من النقاش ، فيحاور أستاذه ويناقش زميله . ويرتفع صوت الثلاثة عندما يشتد بينهم الخلاف حول مسألة من المسائل أو قضية من القضايا .

وعندما توشك الشمس أن تغيب ، ينصرف كل إلى داره ، مؤملين مواصلة الحديث فى اليوم التالى .

الفصل الحادى عشر

اسودت المرئيات فى عينيه ، ووهنت صحته . أطال
التفكير فى مسائل كثيرة ، وأجهد نفسه فى أمور
شائكة ، لا يصل إلى نتيجة تريحه ، وإنما تتصدع
رأسه ويدور فى دوائر مغلقة . هداه تفكيره إلى أن
يذهب إلى (بيت الحياة) ويستمع إلى نون فى قاعة
درسه ، وينهل من علمه الواسع . تردد فى البداية ،
وهاجس بداخله يستهجن مخالطة صغار السن الذين
يرتادون مجلس المعلم ، ووجد فى ذلك ضعة وهوانا
. لكنه يراود نفسه ، ويحدثها بأن نون قارب نجاة عليه
أن يتعلق به ليصل إلى مرفأ آمن . فما الضير فى
مجالسة الشباب ؟ من الواجب عليه أن يحسم
تردده، عساه ينتشل نفسه من وهدة اليأس . ومن حين
لآخر ، يتوجه إلى معبد أوزوريس ، حيث يرقد
مومياء أخيه . لكن حارسيْ المقبرة يمنعانه دائماً من
الاقتراب ، فيركع على الرمال ، وهو على مسافة غير

بعيدة من مدخل المقبرة ، وينظر إلى السماء الممتدة فوقه ، وإلى تراب الصحراء ، والأحجار المتراصة .. فما أصغرنا فى الكون المترامى!وما أضعف نفوسنا وقلوبنا ! الناس يلومونه ، يعنفونه ، يتحاشونه ، يبتعدون عنه . ونفرتارى تحنو عليه بكلمات قليلة ، لكنها سرعان ما تنصرف عنه . شكا وجيعته للمعلم ، وكاشفه بمأساته التى لا يشعر بها أحد ، فنصحه بأن يبدأ حياة جديدة وينسى ما فات . صرخ محتداً:

- هذه هى المشكلة ، كيف أبدأ تلك الحياة ؟ أيها المعلم الكبير ، أفدنى..

ولما لمح حورس يدخل قاعة الدرس ، أنهى النقاش بكلمات مقتضبة وانصرف فى لمح البصر . أفكار كثيرة يزدحم بها عقله ، وتتداخل فيما بينها، لكن نون يكرر دائماً مقولته :

- ابدأ حياة جديدة ..

نعم يمكنه أن يعيش بقية عمره فى عمل شئ يرضى عنه ويقتنع به . وفجأة تومض بخاطره فكرة . رآها بارقة أمل ألحت عليه .. الفكرة تخايله وتزهو بداخله ، بأن "اصنع تمثالاً لإيزيس" . فى الصبا وميعة الشباب ، استهواك النحت ، فأبدعت تماثيل صغيرة ، ثم انصرفت عن كل هذا واتجهت إلى التجارة ، تقايض وتتبادل ، فحققت بذلك مغانم كثيرة . لكن للهواية القديمة روعتها وبريقها ، إذا أنت أحييتها بصنع تمثال لإيزيس ...

ومر بسوق البلدة ، يبتاع أدوات النحت . واستشار نحاتاً عجوزاً فيما قد يستعصى عليه ، فأملى عليه نصائح عديدة . وكان واثقاً من قدرته على صنع تمثال مدهش . فإيزيس منطبعة صورتها فى القلب ، ماثلة فى العين

والخاطر .. صورة بديعة لامرأة غير نساء العالمين ، وهى الأحلى فى ناظريه.

لم يكن من الصعب اقناع نفرتارى بقصة اختلقها ، بأنه رأى فى المنام أخاه وهو يقبل عليه ويحييه ويوصيه بأن يصنع تمثالاً لإيزيس ويضعه فى المقبرة . واسترسل فى تفاصيل حلمه المختلق ، وقال كلاماً كثيراً . لكن المدهش أن نفرتارى لم تعبأ بما قال ، ولم تعلق عليه إلا بكلمتين فقط :

- أنتَ حر ..

واعتبر ذلك إذناً ، فأخلى مكاناً أمام البيت ، وخصصه لنحت التمثال ، وشرع فى صنعه بهمة ونشاط كما عمد إلى ترضية نفرتارى قائلاً :

- بعد أن انتهى من صنعه ...

وسكت قليلاً ، متفرساً فى وجهها ، متعمداً أن يرنو إليه ، مثل الناظر إلى ماسة متلألئة ، متصنعاً الاهتمام بها ، لكنها استشعرت زيف نظراته ، فقلبه متحول عنها تماماً . أكمل :

- ساصنع تمثالاً آخر لكِ ..

قالت في ضيق :

- أنتَ حر ..

وانسلت من أمامه ، منصرفة عنه ، فأردف :

- سيكون تمثالك أجمل ..

لكنها دخلت البيت مختفية عن ناظريه ، كأنها لم تسمع . وانكفأت على الفراش باكية نادبة حظها الذى أودى بها إلى الاقتران برجل عقيم . كم

اشتـاقت إلى طفل تنجبـه . داخت السـبع دوخـات فى سـؤال الحكمـاء . أعطوها أدوية لا جدوى منهـا ، ووصفوا لهـا التداوى بالأعشاب النبـاتية ، لكن لا مبالاة ست تغيظها ، كأنه فـرح بهذا العجز ، وقد يجـاربها ويذهب معـها إلى الحكمـاء والأطباء ، لكنه غـير مـتحمس لشئ . وعلـى عكس ما تفعل هى ، فإنه يرى أن العجـز الذى مُنى به ، ليس فى عقمه هو ، وإنما لأن قلبـه لم يتآلف مع قلب نفـرتارى . ولو تزوج من إيزيس لكان الميـلاد لطفل يـباهى به العالم أجـمع . وظل يقنع نفسـه بهذا الـوهم ، فزاد حـبه وهيـامه بايزيس التى كاد يعبدها ، ويتمنى أن يظفر منها ولو بنظرة عابرة .

الفصل الثانى عشر

شب حورس عن الطوق . وقبل أن يصغى لكلمات
أمه ، وهى تبارك فتوته ، استشعر القوة فيما يحمل
من أثقال ، وفى العدو السريع ، ومنازلة صديقه توت
فى ألعاب القوى . استشعر ذلك حين تخلى عن
حركات صبيانية ، وحين تحلل من الارتباط بأمه ،
هذا الارتباط الذى جعله يتتبع ظلها أينما حلت ،
فانشغل هذه الأيام عنها ، بالدرس مرة ، وبالتمرين
مع صديقه مرة أخرى ، وبالجلوس مختلياً بنفسه فى
كثير من المرات ، متأسياً للمصير السئ الذى حل
بأبيه ، وفداحة الجرم الذى ارتكبه عمه . سمع من أمه
الكثير عن أهوال ست ، فتخيله عدواً ، أو أنه من
جنس آخر غير بنى آدم ، ورسم له صورة شبحية

ظلت عـالقـة بذهنه ، وترتعـد لها فـرائصـه ، وخاصـة إذا أتت سيـرته في مجلس.

شب الصـبي وقد وعى الدرس جـيداً ، فسـت لا يضمر إلا الـشر ، لذا يتعمد الهرب منه ، ويتحـاشى رؤيته . وذات مرة ، سمع أمه تحذره من قدوم ست ، ولمح في عيني أمه التنمّر والتحفـز . هي قادرة على ملاقاته والتصدي له ، ولا يرجع ذلك إلى قـوة تفوق قوته ، وإنما لإحـساسـها الذي لا يكذب بأنه لن يمسّها بسـوء ! تعرف ذلك جيداً . فست يحـبها حباً جنـونياً ، لكنها تكرهه .. وحذرت ابنها من الجلوس معه أو محادثته . ونصحته ، بل أمرته ، بالاختـباء حين يلمحه قـادماً ، فكانت حيلتـه الاختباء في صندوق خـشبي صغير ، وينصت لما يدور بـين أمه وعمه ، كاتماً أنفاسه قـدر ما يستطيع حتى لا يشعر به ، فتتناهت إلى مسامعه مـشادة كلامية من أمه ، وصدودا وتأففا ، بينا يتحـدث إليها بصـوت خفيض ، متـوددا إليها ، مقـسما بحـياته بأنه لن يمسّها بسوء ! ووقر في قلبه ما قاله ست لأمه :

– أنتِ نور .. أنتِ قمر ..

وعجب لأمـه التي تصـده ولا تحفل بالكلمـات الجميـلة . أمه جمـيلة ، رائعة الجمال . وها هو ست يتخيلها قمراً . وتطوف بمخيلته أمسيات قمرية، يسهر فيها ، متطلعاً إلى السماء الصافية ، رانيا إلى القمر الضاحك ، ودائماً يراه ضـاحكاً يزف إليـه البـشـرى مع ضـوئه الفـضي الذي يضـمخ إهابه ، فينتشي به عطراً فواحاً . بينما توت يشاكله في هذا ، ولا يرى هذا الضحك، ولا يشم هذا العطر ، وإنما يرى فـيـه قمـراً مدوراً مـضـيئـاً ، ويشوبه سـواد خفـيف يشوّه شكله . يتـأذى من كلمات توت ، ويرجع ذلـك إلى ما يدور

بينهما من معاكسات ، فيقول له :

- تحاول دائماً أن تكون ضدى ، وتعاكسنى بآرائك وأفكارك .

- فلنحتكم إلى نيت ..

أطرق حورس صامتاً ، بينما تجلجل نيت بضحكات يخفق لها قلبه . رنا إلى وجهها المدور ، عجبا له من وجه له نفس استدارة القمر ! قال توت :

- من ضحكاتك ، عرفتُ رأيكِ المنحاز لحورس ..

قالت وهى تتقدم بخطوات فى اتجاه حورس ، وتلتصق به :

- نعم .. يضحك القمر ..

قال حورس بجرس موسيقى متميز :

- نعم .. يضحك القمر .. مثلما تضحك نيت ..

وبرغم كل ما يحدث بينه وبين توت من مشاحنات وخلافات إلا أنه لا يستغنى عنه ، فهو الصديق والأنيس والرفيق ، وبالمثل لا يستغنى توت عنه . عاد يفكر فى وجه نيت الشبيه فى استدارته بوجه أمه القمرى .. كلاهما وجه قمرى .

يسمع إهانات أمه لعمه ، ويعجب لرضوخ ست وإذعانه ، فلا ينفعل ولا يتوتر ، ولا يرد بما يجرح إيزيس ، وإنما يسترسل فى كلمات غزل رقيق. يتعجب من عمه . آه منك يا عمى . لو لم تقتل أبى ، لكان لك فى قلبى منزلة أخرى ، وأعتقد أن أمى سوف تتجه بأحاسيسها إليك ، وتحبك .

سألها ذات مرة :

- لماذا لم تتزوجي ست وتزوجت أبي أوزوريس ؟

- صه .. يا ولد ..

تجرأ الولد وتجاوز حدوده ، لكنه مازال مصراً على محاورتها :

- أجده يحبكِ كثيراً ..

- وأنا أكرهه كثيراً ..

- ألأنه قتل أبي ، أم لشيء آخر؟

- لأنه قتل أباك ظلماً وعدوانا ، ويجب أن تثأر لأبيك ، حين تكبر ..

صمت قليلاً ، فاستطردت :

- عندما تكبر يا ولدي ، ستفهم كلماتي أكثر .. وتدرك معانيها ..

***

عندما عرف الطريق إلى (بيت الحياة) ، والتقى بالمعلم نون . يتذاكر الدرس ويتعلم كيف يقرأ ويكتب .. زد على ذلك ، ما يقوله نون من دورس الحياة ، وما ينطق به من حكم ومواعظ .. حينذاك ، أدرك أنه كبر . لم يعد صغيراً . وذات يوم ، أحس بوقع أقدام ست وهو يقتحم قاعة الدرس فجأة ، قاصداً نون . ارتبك . لا يوجد في القاعة صندوق فيختبئ فيه . في البيت ، يعرف طريقه إلى الصندوق ، أما هنا فإلى أين يتجه ؟ كيف الهروب ؟ احتار . نظر إلى توت الجالس بجانبه يلتمس منه العون ، كأن توت يقرأ أفكاره ، فيجيب عليها :

- ابق في مكانك ...

لم يكن لديه حل آخر ، فتحاشى النظر إلى ست ، وشغل نفسه بالنظر في ورقة بردى ، وقد رسم عليها بضعة أشكال . تأمل ما رسم ، وهو يستذكر الرمز المقصود بكل رسم ، وما قاله نون . وأثناء انشغال نون مع ست في حديث طويل ، انشغل حورس بورقة البردى المبسوطة أمامه ، وحفظ الأشكال المرسومة حفظاً تاماً .

ولم يلحظ ست وهو ينظر إليه حين تأهب للخروج . ولما أولاه ظهره ، بدأ يتتبع خطواته حتى اختفى عن ناظريه . ابتسم توت وهو يقول :

- ينبغي أن تطرد الخوف من قلبك .

- كيف ؟

- اقلع عن الاختباء في الصندوق .

- أمي تخشى عليّ من بطشه .

يشرد حورس ذاهلاً عن توت ، يتذكر ما قالته أمه بأن ست الذي قتل أباه ، يبيت النية على قتله .. "فيصفو له الجو ويرغمني على ما أكره . إنه يحبني .. هذا حق .. لكنه يحبني بطريقة استفزازية غبية ، أودت به إلى الحقد والقتل . ومن يحب - يا ولدي - لا يكره ولا يحقد ، ولا تقترف يده إثماً ، لهذا فحبه لي حب زائف .. أوه يا حورس ، ما لك وهذه الأمور . أنتَ لن تفهم شيئاً مما أقول . فقط ، ابتعد عن ست حتى تأمن وتسلم" .

كلمات أمه محفورة في الذاكرة ، مثلما الرسوم المنقوشة على جدران المعابد ، لا تمحوها الأيام ، ولا تؤثر فيها عاديات الزمن . أما كلمات توت التي يرددها الآن . فكيف يأخذ بها ؟ كيف يطرد الخوف من قلبه ، وقد تربى

هكذا ؟ رضع من ثدى أمه الخوف والقلق . وإن كان يرى أن خير وسيلة لطرد الخوف من قلبه ، والإقلاع عن الاختباء والاحتماء بصندوق صغير ، أن يختفى ست من حياته . لكن كيف ؟ وخفق قلبه بشدة وهو يمنى النفس بموته . نعم ، يموت ست .. لكن كيف ؟ كيف يموت الآن ؟ وتسارعت دقات قلبه، وهو يمنى نفسه بقتله ؟ أجل ، يُقتل ست .. لكن من ؟ من يقتل ست؟ إنه أنتَ يا حورس ، هذا دورك أيها الشجاع ، أيها الصنديد .. أن تثأر لأبيك . ألم تعظك أمك ، وتوصيك بالثأر ؟

الآن فهم كلمات أمه .. الآن عرف .. وينبغى أن يعدّ نفسه ليتمكن من التخلص من آثامه وشروره.

الفصل الثالث عشر

تعددت لقاءاته بالمعلم نون . ود لو يتخلص من وهدة اليأس التى يعيش فيها . أصغى نون جيداً لكل كلمة ينطق بها ، وأيقن أن حديثه المتواصل ما هو إلا مخزون هائل من الآلام ينبغى أن تتخلص منه الروح التى تسكنه ، فينطقه اللسان ، وتسمعه الأذن ، كأن الآلام شحنات برقية تنتقل من روح لأخرى . وهو متأكد من ظنه ، ومن فكرته ، لأن كثيراً من أصحاب المشاكل والمواجع يطرقون بابه ويفرغون ما بداخلهم من مخزون الآلام ، ثم يسمعون كلمات تطييب للخاطر ينطقها نون بطعم العسل ، فينصرفون يشملهم هدوء وسكينة ، وحالة ست معروفة ومشهورة للقاصى والدانى ، فقد انتشرت فى شمال

البلاد وجنوبها ، مما اضطر فرعون مصر إلى الأمر بالقبض عليه ومحاكمته .
فابتعد ست عن الأنظار ، وانعزل عن كل الناس ، وإن كان يقصد دار نون أو (بيت الحياة) كما جرى على ألسنة الخاصة والعامة ، فنون معلم كبير ، وصاحب خبرات فى أحوال الناس . ويثق بأن نون لن يبلغ عنه ، وإلا لأبلغ عن عشرات الرجال والنساء الذين قصدوا داره بغية النصح والإرشاد .
يصغى نون لاعترافه ، ويكتفى بكلمات قليلة ينطق بها ثم يصمت :

– كفر عن ذنوبك ..

– كيف ؟

يسأل فى حيرة ، لكن المعلم يلتزم الصمت . يستطرد :

– صنعتُ المستحيل لارضاء إيزيس . ليس طمعاً فى الزواج منها ، وإن كان هذا مرادى ، لكنى أطمع أولاً فى أن تعفو عنى .

يعبر نون عن استيائه بهز رأسه . يحاوره مرة أخرى :

– وعملت على ارضاء أختنا نفتيس ، أملاً فى أن تُقنع إيزيس بأننى تغيرت إلى الأفضل ، لكن شبح الإثم يطاردنى ، ما زال يحوم حولى ، يقلق نومى وينغص عيشى .

يكرر نون نصيحته :

– كفر عن ذنوبك ..

– ذهبتُ إلى قبر أخى .. أناجيه عن قرب .. أبثه شكواى .. حتماً ستعانق روحى روحه .. منعنى الحراس من دخول معبده ، فركعتُ فوق رمال الصحراء الساخنة باكياً ، وما إن أهدأ قليلاً حتى أندفع فى البكاء من

جديد ..

ابتسم نون ولم ينبس بكلمة .. استطرد ست :

– زرتُ المعبد .. ألتمس البركة .. و ..

تلعثم لسانه . بكى . أخفى وجهه بكفيه ، مستغرقاً فى البكاء . ربت نون على ظهره وقال جملته الأثيرة كأنه لا يعرف فى قاموس اللغة سواها :

– كفر عن ذنوبك ..

وظل يربت على كتفه لحظات حتى هدأ انفعاله وامتنع بكاؤه . قال له :

– تعلم جيداً أن الكاهن يظل يمرن نفسه على الزهد فى ملذات الدنيا ومغرياتها ، ويقترب بفكره إلى عالم الموتى . كما أنه يظل بالمعبد سنوات وسنوات ، يقضيها فى قراءة التعاليم والنفاذ إلى جوهر الروح . وكما أنه ليس سهلاً لأى انسان أن يصبح كاهناً ، فليس سهلاً – بالمثل – على قاتل أخيه أن يصبح محبوباً .

– هل قدّر لى أن أعيش منبوذاً طول العمر ؟

صمت المعلم الحكيم ، فبادره ست:

– منذ أيام قليلة ، التمعت فى رأسى فكرة .. أن أصنع تمثالاً لإيزيس . سأسهر عليه الليالى ليكون صورة معبرة عن إيزيس التى تعيش بقلبى . الصورة ماثلة فى خيالى . وأتمنى أن أنقش نفس الصورة على الحجر . لا تسخر منى أيها المعلم المبجل . سوف تراه حين يكتمل ، وسوف تندهش لروعة النقش على الحجر . سيكون تمثالاً جديداً فى كل شئ ، إنه غير هذه التماثيل التى تراها .

- هذه هى البداية ، بداية الطريق للتكفير عن ذنوبك ..

وناوله سكينا حادة ، لتساعده على نقش تمثاله . وقال :

- تذكر يا ست .. أن هذه السكين يمكن أن نقتل بهـا ، ونسفك الدماء ، ويمكن أن ننقش بها على الحجر وجوهاً نعشقها وأشكالاً نحبها ..

ووضع السكين فى كيس من القماش يتدلى من حزام يتأبط وسطه ، وعانق معلمه . فقد اعتبر هدية معلمه تعبيراً عن رضائه ، وبركة منه . ورغم أن لديه ما يكفى من أدوات النحت والنقش ، إلا أنه أحس بالسعادة لرضاء معلمه ، وانصرف إلى داره هادئ البال مستريح الخاطر .

الفصل الرابع عشر

رنا إلى كتلة الحجر الضخمة . وكان سهلاً أن تتشكل
فى مخيلته صورة إيزيس كما يريد أن ينقشها على
الحجر . صورة لم يبدعها فنان . سوف يضع التمثال
- عند ما يكتمل - فى وضع يسمح بأشعة الشمس
أن تسقط على وجهها المضئ بأكمله ، كأنما الشمس
فى دورانها من المشرق إلى المغرب ، تتوق شوقاً
لعناقها ، فتنخف فى البكور لتسقط على الوجه
والجسم كله ، وتظل تدور فى حركتها عبر سويعات
النهار ، لترسم بالأضواء والظلال زوايا مختلفة تبرز
مكامن الجسم وينابيع الروح .. حتى إذا أذنت
الشمس بالغروب ، رحلت وهى آسفة للفراق ،
وتترك بُعيد رحيلها اصفراراً يعم الكون بأسره .

ويشارك فلاح جالس على ضفة نهر النيل ، فى وداع قرص الشمس بنايه الحزين ، وصوته الدافئ يردد أغنية حنين للحبيب.

التمثال صورة حية فريدة تعيش فى مخيّلة ست ، تلهب أصابعه حماساً، فشرع ينحت الحجر ، كأنه يعانقه بحنين جارف ووجد مشتعل .

شكل إيزيس مطبوع فى مخيلته . عيناها النجلاوان مفتوحتان ، كأنهما يعانقان الأفق ويحتويانه ، وابتسامة هادئة على الشفتين لا تكاد تبين . والصدر مكتنز الثديين ، عنوان الكبرياء . وأنامل أصابع الكف اليمنى ، تمس حلمة الثدى مسّاً رقيقاً . أما أنامل أصابع الكف اليسرى ، فتستر ما تحت البطن ، ستاراً رقيقاً يخفى ما تحته ، ويثير الشوق . وبطنها المدوّرة الملساء تتوسطها السرّة . أما الساقان ، فقد حرص على أن يكونا متناسقتين مع رشاقة الجسد وخفة الحركة . وطفق يعتنى باستدارة الفخذين ، واتساق الساقين . وأصبح التمثال فى تشكيله الأولى يشى بمقاييس الجمال للمرأة .. القوام الممشوق دعوة صريحة للرجل بأن يعانق المرأة . والروح ، هل تستطيع يا ست أن تعبر بأزميلك ، نقشاً على الحجر ، عن تلك الروح التى تسكن إيزيس ؟ هل فى مقدورك أن تنطق الحجر ، وتجعله صورة حية تطابق الصورة التى تفجر ينابيع الحب فى صدرك ؟

أخذ ست يوصل الليل بالنهار ، ولا شغل له إلا صنع التمثال . ووهنت صحته ، وعزف عن الطعام ، وانصرف عن زوجته ، التى انزوت هى الأخرى عنه ، طاوية أيامها على جراح عميقة ، وكلما برزت تقاطيع التمثال وتحددت معالمه ، أكلتها نيران الغيرة . تعلم جيداً أنها لن تستطيع أن تصرفه عن تمثاله الأثير .وهل نجحت فى تحويل قلبه عن إيزيس؟ إنها من الضعف

بحيث لا تقوى على تحويل نبض القلب تذكر ذات مرة ، حين احتدّت معه ، فهددها بسكين حادة ، وقال لها :

- مثلما قتلت أخى .. لن أتردد فى قتلك

ومنذ ذلك الحين ، لم تشأ أن تحتد معه وقبلت العيش بقلب موجع كسير . إنها مأساة لا يشعر بها غيرها لكنها تمنى نفسها أن يأتى يوم تنتقم فيه لكرامتها . وكم من مرة فكرت فى قتل إيزيس لكنها تراجعت ، لأنها لم تفكر قط فى قتل إنسان . كما أن القتل لن يحل مشكلتها ، ولن يحوّل قلب ست . سيعيش - وقتذاك - على ذكراها وكثيراً ما تفكر فى جمال إيزيس المزعوم ، فترى أنها الأجمل ، غير أن ست أعمى البصر والبصيرة . زهد فى إمرأته وحط شباكه على إمرأة غيره .

شردت فى الأفق كاسفة البال . هكذا حال الإنسان . يزهد فيما يملك ويتوق شوقاً لما لا يملك . لكن حنانيك يا نفرتارى هذا لا ينطبق على كل الرجال . وإلا ، فما بالك بأوزوريس المحب الوفى لزوجته . ونفتيس أختها، قتل زوجها فى ساحة القتال ، فى إحدى المعارك مع الهكسوس ، وكان يعشق نفتيس ، فحزنت عليه ولم تتزوج من بعده . إنه حظها التعس الذى جعلها شريكاً فى الحياة لرجل مأفون .

يوصل ست الليل بالنهار ، وكلما برزت هيئة إيزيس ووضحت ، التهب حماسه لوضع اللمسات ، وتجسيد المعنى . وكثيراً ما يرقد على الفراش ينشد الراحة ، فإذا بأحلام يقظة تصور له إضافة جديدة للتمثال . وذات مرة، أغمض عينيه ونام ، فتجسد فى مخيلته الشعر المنسدل على الكتفين ، يتموج كموج البحر ، فهب من نومه وقصد الساحة التى ينتصب فيها التمثال ،

وأخذ يساوى خصلة الشعر المنسدلة على الجبين ، وراح يعمل بأزميله كى يبرز تموجات الشعر الخفيفة . وفى مرة ثانية ، ألفى الردفين فى حاجة إلى تسوية أكثر ليبدوا أملسين كالمرمر ، فطاوع خياله ونهض ، وطفق يصلحهما ! .. وهكذا ظل على امتداد أيام ممتعة ، يضيف الرتوش واللمسات ، حتى يخيل للناظر أن إيزيس واقفة قبالته بدمها ولحمها .

ولم تمنع الغيرة نفرتارى من الاندهاش لروعة التمثال ، وأعربت له عن إعجابها ، فقالت :

- كأن الروح حلت فيه .

تاه ست بهذه الكلمات ، وود لو يطير إلى محبوبته وملهمته ، ليحثها على المجئ ، كى ترى إبداعه . حتماً سوف تعجب به . أليس ما صنع محاكاة لجسدها وروحها ؟

الفصل الخامس عشر

أعيتها الحيل . ظلت مؤرقة الأجفان ، تتقلب على فراشها كمن تتقلب على رمال ألهبتها شمس الصيف الحارقة . نهضت تمرن ساقيها على المشى جيئة وذهاباً داخل غرفتها لا تبارحها . تعلم جيداً أين يقضى الليل . يقضى الليل هناك ، على بعد عشرات الأمتار، فى رواق الدار ، منشغلاً عنها بتجميل تمثاله . يالها من قوة آسرة تلك التى تدفعه إلى صنع تمثال لها ! أتراها تستحق ؟ يا لها من لعنة حلت عليها إذ قُدّر لها أن تكون زوجة لرجل مجنون بعشقه ، مهووس به . لا يرى الدنيا إلا من خلال عينىْ إيزيس. العالم كله فى نظره لا يساوى شيئاً بدونها . تبدأ الدنيا بإيزيس وتنتهى عندها . اختصر الكون

والعالم . إيزيس فى ناظريه هى الكون والعالم . فيا له من رجل ويا لها من إمرأة ! وأنت يا نفرتارى ، ماذا تفعلين؟ هل تقاومين الأقدار ، أم تتركينه وتهجرين الدار ؟ لابد أن تفعلى شيئاً . هل تلجئين إلى معلم الأجيال نون ليحفزك كعادته إلى مزيد من الصبر . نعم الصبر . قد لجأت إليه منذ سنوات مرتين ، وقال لك حينذاك :

– اصبرى .. ولا تهدمى بيتك بفعل طائش قد تندمين عليه .

نظرت إلى صفحة المرآة متأملة استدارة وجهها وبريق عينيها ، والصدر الملتهب ، والشعر الفاحم الناعم . كل هذا الجمال لا يحفل به ست . لا فائدة يا نفرتارى . أنت جميلة . مازلت عروساً تنتظرين رجُلك يرتمى عند قدميك تيها وعشقا . وتناهى إلى سمعها صوت الفلاح الجالس عند ضفة النهر ، يغنى بنايه الشجى على أوتار الألم . يشكو الزمان ، ويمنى القلب بلقيا الحبيب . أنصتت إليه ، فى صوته شجن وعذوبة . جلست تشنف أذنها بحلاوة الصوت . تنهدت فى راحة . وما ترددت حين اعتزمت الخروج لتقترب من الفلاح العاشق ، وهو يبث الناى مواجعه . صورة فريدة ترتاح لها النفس.

اجتازت الرواق ، حيث يمكث ست بجوار تمثاله الحجرى ، وما درى بها إذ تجاوزته وخرجت من الدار بخطى وئيدة ، فى اتجاه النهر . الدنيا ليل ، والسماء مرصعة بنجوم كماسات متلألئة على صفحتها . فى هذه الليلة لم يظهر القمر ، هلالاً أو بدراً .. لكنها استدلت على الطريق دون حاجة إلى ضوء القمر أو شعاع فتيلة . أنسام الليل الباردة تنعشها ، وصوت الناى يشجيها ، وبعدها عن الدار يجلب لها الراحة ، حيث تحللت من وجودها

مع ست ، المنصرف عنها المنشغل بأخرى . وقفت عند ضفة النهر ، تتهادى الأمواج الهادئة . النيل معطاء عبر الأعصر والأزمنة . وما أجدرها بأن تكون عروساً للنهر ، تُقدّم قرباناً لفيضانه . نعمّ هى زوجة ، والنهر يعشق الصبايا.. لكن .. أستحلفكَ يا نيل أن تقبلنى عروساً أزف فى أحضانك . لا أريد موكب الزفاف ، واحتفال الكهان والناس . يكفينى أن تنتهى سنوات العذاب وأفارق دنياى الظالمة ، وألج عالمك الفياض . لا شك أن بداخلك أسراراً لا قبل لى على فهمها . لكنى سأعرفها حين أغوص فى أعماقك ، وتغرقنى مياهك ، وتحتضننى فتغطينى أمواجك الهادئة .

وفجأة ، ظهر قبالتها رجل قوى ، كالمارد ، كأن الأرض انشقت وطلع منها . من أين جئتَ ؟ ضحك .. وكان لرنين ضحكاته دوى هائل اخترق الفضاء وقتل الصمت الحالم ، وطغى على الصوت الحانى . ارتعدت فرائصها . أتاها صوت الرجل :

– ما الذى أجلسكِ هنا والدنيا ليل ؟ لا أحد هنا غير الشاب المسكين ، يعزف على الناى ويغنى .

– جئتُ من أجل هذا الشاب .

– لا داعى للمراوغة ، وصارحينى .. قد أستطيع مساعدتك .

صمتت لحظات ثم قالت تشكو غلبها :

– جئتُ أبث مواجعى للنهر . لن أكذب عليك . فقد تمنيتُ أن يقبلنى النهر قرباناً .. فأنا جميلة ، ويحق أن أكون عروس النيل .

– يا لكِ من مغرورة .

- الكل يشهد بجمالى .. صه ..

تصمت فجأة ، كمن لدغتها عقرب . ثم قالت :

- لم تقل لى .. لماذا جئتَ إلى هنا ؟ هل أنتَ إنس مثلنا ؟

ابتسم ، وخفضت حدة صوته وهو يجيب :

- جئتُ لأنقذ المسكينة نفرتارى .

- أتعرف اسمى ؟

- نعم .. وأعرف حكايتك ..

ترتعد خائفة :

- قل لى من أنت ؟

يضحك ضحكاته المجلجلة ..

- جئتُ مفوضاً من قبل النهر .. !

تجحظ عيناها ، مستغربة .. يستطرد :

- أبشركِ بأن النهر قبل القربان ، وأرسلنى إليكِ .. فأنتِ فعلاً جميلة .. أنتِ جميلة الجميلات . أجمل من إيزيس ..

- ليتك تسمع ست هذه الكلمات الجميلة ، فينصرف عن إيزيس ، ويثوب إلى رشده .

يزمجر غضباً ..

- دعكِ من ذلك المأفون ، فما جئتُ لمثل هذه التفاهات .. قد أتيتُ إليكِ

من جوف النهر ، لأصحبكِ فى رحلة إلى أعماقه ..

ترتعد أكثر ، غير متيقنة من صدق كلامه ..

- لا تخافى ..

قالها بصوت رقيق . تحاول أن تصدق . ترتجف أكثر . تصطك أسنانها ، تقول فى صعوبة :

- ما اسمك ؟

- أوزوريس .. !

تشهق مستغربة . كأنها فى عالم آخر . تتفرس ملامحه ، إلا أن حلكة الليل ، فى ليلة بلا قمر ، جعلها لا تتبين الملامح جيداً . لكن الصوت يجلجل فى قوة وتمكن . قالت فى ضعف :

- أأنتَ أوزو ... ريس ..

تزداد خوفاً ، ترتعب ، تحاول أن تتمالك نفسها وهى تقول فى ضعف أشد :

- أوزوريس مات منذ سنوات ..

قال فى غضب :

- أوزوريس لم يمت . هل غاض النيل ؟ هل كفّ عن سريان مائه فى مجراه ؟ فكيف تدّعين موته يا إمرأة .. ؟

نظرت إليه كأنه وافد من عالم مسحور . إنه يحدثها عن الخصب والنماء، وديمومة الحياة . حقاً لم تجف مياه النيل ، ولم تتوقف الحياة . حقاً ،

هذه الكلمات لا ينطقها إلا وافد من أعماق النهر . أحنت رأسها فى احترام وتبجيل ، ثم قالت فى تردد وتلعثم :

– أرجو أن تغفر لى خطئى وقلة تدبرى ..

اقترب منها ، ومد ذراعه وأحاط كتفها ، إحاطة الطوق ، وضغط بأصابعه لحم كتفها العارى :

– أنثى جميلة ، يباهى بكِ ويفاخر كل إنسان مقدّر للجمال ، وقبل أن نلجَ مياه النهر سويا ، غائصيْن فى أعماقه ، تعالِى نردد هذا الدعاء :

"أنا لم أرتكب ما يغضب الإله

أنا لم أعق والدىّ

أنا لم ألوث ماء النيل

أنا لم أطفئ شعلة فى وقت الحاجة إليها "

ورددتْ معه الدعاء وأمّنت عليه ..

واحتضنها من يُدعى أوزوريس . استسلمت طواعية لقبلاته ، كأنما يروى أرضاً عطشى . وكان فى شفتيها ظمأ . ضم صدرها الملتهب إلى صدره ذى الشعر الكثيف . تعانقا تعانقا يصعب الخلاص منه ، وارتميا على العشب الأخضر ، وأعطته أربه فى نشوة واشتهاء .. نهض من مكانه ، نافضاً ما علق بجسده من تراب وبعض الأعشاب ، ثم ناولها ملابسها قطعة قطعة ، وفجأة تركها واختفى .. وقفت مكانها تتأمل ما حولها . الكل يعج فى صمت عميق ، فيما عدا صاحب الناى الذى ما زال ينوح بمواجعه ، ويأتيها صوت أمواج النهر المتهادية عبر الأمكنة والأزمنة .. وعادت تردد

الدعاء

"أنا لم أرتكب ما يغضب الإله

أنا لم أعق والدى

أنا لم ألوث ماء النيل

أنا لم أطفئ شعلة فى وقت الحاجة إليها"

أعادت الدعاء مرات عديدة ، وهى تتلفت حولها باحثة عن أوزوريس الجديد ! نادت عليه ، ثم خطت خطوات فى اتجاه عازف الناى سألته :

- ألم تقابل أوزوريس ؟

- أوزوريس راقد فى مقبرته ، هناك ، فى الهضبة الشرقية ..

وطفق يمعن النظر فى نفرتارى ، التى بدا عليها الأعياء ، لكن اتساق القوام ، ومسحة الجمال ما زالتا يضوئان خطوها أينما اتجهت . تفرس فيها :

- لولا أنى أعرف إيزيس جيداً ، وأعرف أنك لا تشبهينها بأى حال من الأحوال ، لظننتك إياها . هل استعانت إيزيس بك لتبحثى معها عن زوجها؟ أما زالت إيزيس تبحث عن أوزوريس ؟ أهناك أمل ؟

لماذا نفقد الأمل ، أيها الشاب الحالم ؟

- الأمل شئ عظيم ، بالأمل يحيا الإنسان . ها أنا أبكى محبوبتى التى ماتت فى ميعة الصبا ، وأغنى لها ، وأعزف لها على الناى .. لكن ، دلينى يا إمرأة هل فى إمكاننا استرداد ما فقدناه ؟

- ربما .. يعنى .. لكن ..

بيكى ..

قالت بصوت عال حتى تغطى على نحيبه :

- قد جاءنى أوزوريس ، هنا على ضفة النهر . أوزوريس لم يمت . إنه يعيش فى هذه المروج الخضراء ، وفى جريان مياه النيل .. يعيش فى فروع النخيل والأشجار ، يعيش فى الجذوع والسيقان والجذور . أوزوريس يعيش فينا ..

ينقطع بكاؤه . يسترد هدوءه ويقول :

- يمكننى مصاحبتكِ حتى عتبة دارك ...

- لا .. سأغتسل فى مياه النيل ..

- كيف ؟ الدنيا ليل .. ألا تخشين من حوريات النهر ؟

- سأصير واحدة منهن ..

- أجننتِ يا إمرأة ؟

- اسمى نفرتارى ..

وطفقت تحكى له حكاية أوزوريس المزعوم الذى أوفده النهر ليرافقها فى رحلتها إلى قاع النيل..

- إنه مخادع . قضى وطره معكِ ومضى . لا تصدقى ما قاله .

- إنه ردد دعاء من كتاب الموتى ..

- كى يؤثر فيكِ ويجعلك تصدقين أكاذيبه ..

ذهلت لما تسمع . صدمها عازف الناى بما لا تتوقعه . ترددت قليلاً ،

وبدا عليها الضعف والوهن . تمنت أن يكون عازف الناى هو المخطئ فى ظنه . لكنها انتظرت رسول النيل طويلاً ، إلى أن وقعت على الأرض اعياء .. أمسك عازف الناى بيدها وأنهضها فى حنان بالغ . تلفتت حولها فلم تجد أحداً غير هذا الشاب . لم يأتِ من قال لها أنه أوزوريس . وما زال الشاب الشهم أمامها يقيل عثرتها ، فطاوعته وهو يقود خطاها إلى البيت . ويحنى رأسه وهو يقبّل يدها الرخصة ، واعداً إياها أن يعزف الناى غداً وكل مساء، وفى نفس المكان .. قالت وهى تختفى عن ناظريه :

– الأمل شئ عظيم ، بالأمل يحيا الإنسان ..

الفصل السادس عشر

تسللت فى جنح الظلام ، دون أن يُسمع لها صوت
.. شخير ست يمزق قماط الليل ويقلق السكون .
الصوت المنفر ، وإن كان يسترها ، فتندس فى
الفراش فلا يدرى ست بها . لكن النوم لم يزر
جفنيها إلا قليلا ، وسرعان ما تستيقظ ، تفكر فى
غريمتها التى صُنعت من حجر أصم . صدرها يعلو
ويهبط ، وصورة التمثال تتجسد فى مخيلتها ، كأن
الروح تزوره وتحل فيه . لكن يا نفرتارى ، كيف
قبلتِ مضاجعة من ادّعى أنه أوزوريس ؟ لا .. إنه
هو .. هل انطلت عليكِ الخدعة ؟ وعازف الناى ..
عاشق منذ سنوات عديدة .. هل صدمكِ العاشق
البسيط بالحقيقة ؟ لا .. لا .. أية حقيقة تلك التى

يتحدث عنها ؟ هل تصدقه وتكذب أحاسيسها ؟ ألم يقل لها كلمات عن الخلود والبقاء ؟ وعن رحلة ما بعد الموت تحدث ؟ لقد أسلمت له جسدها طواعية ، ونعمت بلذة العناق . وست ، هذا الزوج الغبى لم يعانقها قط بمثل هذا الحب . لقد ضمخت إهابها بعطر غامض ، فانتشت وقد بللتها قطرات الندى ، فبات جسداهما جزءاً مكملاً للطبيعة .. للشجر والنخيل ، ومياه النهر المبارك ، والسماء متلألئة النجوم ، والقمر شحيح الضوء المتوارى بين السحاب ، والدروب الترابية ، والنبات المورق المثمر ، والورود بديعة التكوين والتلوين ، ذات الرائحة الزكية .. استرسلت نفرتارى تعبّ من ذلك الجمال بديع التشكيل ، وصدرها يعلو ويهبط .. والشخير بدأ يخفت ويتلاشى رويداً رويداً ، حين تقلب ست على جنبه وقد أولاها ظهره. فى تلك اللحظة غطى السكون الهائل كل شئ ، حتى صدرها اللاهث بدأ يأمن وتنقلب هى الأخرى على جنبها مولية إياه ظهرها ، واحتوت ذراعاها وسادة صغيرة ، وغطت فى نوم عميق ، كأنها حين احتضنت وسادتها ، تكمل العناق اللذيذ مع الذى ادّعى أنه أوزوريس .

ومع الخيوط الأولى من ضوء الفجر ، إيذاناً ببدء يوم جديد ، استيقظت على صوت تغريد عصفورين يتناوبان المناجاة ، عن العشق والجمال والفضاء الطليق ..

نهضت متجهة إلى الرواق ، فإذا بإيزيس منتصبة قبالتها . أواه من هذا التمثال الحجرى الذى يناصبها العداء فى عقر دارها ! كيف قبلت العيش مع ضرة ؟ صوت يردها :

"اهدئى بالاً ، ربة العشق .. أنت أجمل وأحلى . صرت معشوقة . وما

حدث بليل أمس ليس ببعيد .. ما حدث بليل أمس يشهد بأنك أحلى أنثى".

تمشط شعرها الأسود الفاحم ، المنسدل على كتفيها ، وبدا وجهها المدور قمراً يضئ الدار .. لا .. هناك التمثال يضوئ بأشعته النافذة أنحاء الدار ، يضوئ كل ركن فى الدار . ها هى إيزيس أحلى أنثى تسكن قلب ست . هذه حقيقة . ها هو التمثال تحدد أشعة الشمس معالمه . تطفئ القنديل ، ما عاد ضوؤه الخافت يؤثر . أمسكت بفأس معلقة . ما هى إلا ضربة واحدة قوية ويتحطم التمثال ، ينكسر إلى نصفين . لتكن الضربة فى العنق الرقيق الدقيق ..لتكن الضربة فى أضعف جزء ، فيتهشم التمثال ويسقط الرأس . فما فائدة جسم بلا رأس ؟ حينذاك ، تسخر من ست عابد الحجر . أما هى ، فقد نعمت بما هو أمتع وألذ ، نعمت بعناق من يدّعى أنه أوزوريس ، نعمت بروح حية . وما تمنته نالته ، ولم تضيّع وقتاً أو تشغل نفسها بتمثال حجرى لن تحل فيه روح . فإيزيس لم تمت حتى تحلق روحها هنا أو فى أى مكان . إيزيس إمرأة عادية مثل بقية النساء . تخطو فى وجل .. تقنع نفسها بما هى مقدمة عليه .. تطرد الخوف من صدرها قدر جهدها .. الفأس ثقيلة .. سنها مفلطحة عريضة ، وهى مفيدة لكسر أكبر جزء بضربة واحدة . وينبغى أن تتبع ضربتها الأولى بضربات أخرى متتالية .. وما إن همّت بضرب إيزيس الحجرية ، حتى عاجلتها يد ست تمسك بمعصمها .. قد أتى ست من خلفها وشل حركتها ..

– أجننتِ ؟ تكسرين تمثال ربة العشق والجمال ؟

قالت فى زهو :

– أنا ربة العشق والجمال .

ضحك هازئاً ..

– أتسخر مني ؟ يا لك من مأفون ، لاترى فيّ شيأ جميلاً . قضيت عمرك كله لاهثاً وراء إيزيس ، وأهملت زوجتك التي تشكو للسماء شقاءها . أنت رجل وضيع . تتمنى ما لا تملك ، بينما تملك ما يحسدك الآخرون عليه .

يقهقه ..

– أنت .. ما أملك .. ويحسدني الآخرون عليك !

– لا تسخر ..

يطوح بالفأس بعيداً ، وهو يقول :

–خسئتِ ..

– هذه حالك دائماً. لا فائدة . أنتَ شيطان في شكل رجل . بل أنتَ الشر كله في ثياب إنسان .

– خسئتِ يا إمرأة . إيزيس هي الأنثى الكاملة .

تقهقه بنفس طريقته الساخرة ، مزهوة بنفسها متحدية :

– بل أنا نفرتاري .. أنثى يعشقها كل محب للجمال . هناك مغن يردد الوادي مواويله عشقاً فيّ .. اذهب واسأله .. كما أنني قضيتُ وطري مع فلاح محب .. سعدتُ بصحبته الليلة الماضية ، وكنت تغط في شخيرك المزعج . أعرفتَ كم أنا أنثى يعشقها الآخرون ، وأنت لاه عني متيم بحب

إيزيس ، مهووس بها ، وهي لا تعيرك أذناً صاغية ، بل تحتقرك ؟

- اخرسي يا خائنة ..

وما درى بيده وهي تتناول الفأس ويهوى بها على جسد نفرتارى بضربات جنونية ، حتى سقطت مضرجة فى دمائها . أصيب بذهول ، فجلس القرفصاء ، يخبئ وجهه بكفيه حتى لا يرى .. أواه ما هذا الجنون ؟ ما قصدتُ قتلها . أى جنون أصابك يا ست ؟ لا .. هى التى دفعتك إلى الجريمة . إنها تريد أن تحطم تمثالك المبهر ، الذى سهرت الليالى الطويلة تبدع فيه .. تشكله ، وتجمّله . لكن القتل ...

"اغفرى لى يا نفرتارى .. أيتها الروح الباقية .. كم تعبتِ منى ، وتحملتِ عثراتى وأفعالى الطائشة . إنى بفعلى المشين قد عوقبتُ عقاباً شديداً ، فقد حُرمتُ منكِ .. فلتذهبْ روحك فى الفضاء الأبدى، تحلق كما يحلو لها ، طليقة متحررة من إسار الجسد" .

ورغم ترديده للأدعية ، إلا أنه أحس بخواء النفس .. وهذه الدار الواسعة ، قدر له أن يعيش فيها وحيداً ، كأنها محبس ضخم ينعزل فيه عن الناس والعالم .

لكن .. ويحك يا ست . هذا تمثال المعشوقة ينطق صوتاً رقيقاً ، ويعطر الرواق ، بل البيت كله ، بأريج ما شمّته أذن من قبل . ينظر إلى عينيها ، لكنه أحس بالعينين الحجريتين كأنهما عينا إيزيس .. تنظران إليه شزرا ، تستنكران ما أقدم عليه ، فيهرول بعيداً عن الرواق ، وهويصرخ صرخات الفزع والجنون . يردد فى ألم ممض :

– اغفـرى لى يا نفرتارى .. بل اغـفرى لى يا إيزيس .. نفـرتارى أخت إيزيس .. لا .. بل إيـزيس أخت نفـــرتارى .. اغـفـــرى لى يا نفــرتارى .. واقـتـــربى منى يـا إيزيس .. آه يا نفـــرتارى .. آه يا إيزيس .. نفــــرتارى .. إيزيس.. نفرتارى ..

وظل يهذى إلى أن غلبه إعياء شديد ، فسقط على الأرض ، وقد تحشرج صوته من شدة البكاء ..

الفصل السابع عشر

رفع الراية السوداء أعلى الدار . ثبتها فى عود البوص الذى نصبه أعلى السطح . فتقاطر إليه أتباعه وجيرانه الذين تتواجد بيوتهم فى أماكن متفرقة قريبة من الدار، وتشكل البيوت حلقة دائرية ، ويقع بيت ست فى مركزها . والراية السوداء إشعار لكل من يعنيه أمر الدار بموت أحد ساكنيه .

التفوا حوله ، ولم يتحدث إليهم تفصيلاً ، وإنما أشار إلى الفأس وقال منكساً رأسه :

– هذه الفأس .. قتلتْها ..

وهى إشارة يُفهم منها أن قوة أكبر منه دفعته إلى ذلك. لهذا نسب الفعل إلى الأداة التى استعملها .

كأن لسان حاله يقول : "لا يد لى فيما حدث .. قد خضعتُ لمشيئة أقوى منى" . ويفهم من هذا إحساس القاتل بالندم على ما اقترفته يداه . حينذاك أدرك الأتباع أن كبيرهم غارق فى أحزانه ، ملتاع لفراق زوجته . أحضروا صندوقاً خشبياً ، وقاموا بعملية تطهير الجثمان من أدرانه ، وعهدوا إلى كاهن المنطقة ليقوم بمراسم التحنيط، والرقاد الأبدى لنفرتارى . تناول وريقات البردى ، وقرأ منها سطوراً تطلب الرحمة للميت، وتبشر الحاضرين بما ينتظرهم فى الدار الآخرة .

سار الموكب الجنائزى إلى المقبرة القريبة من الدار ، وهى قبو على شكل هرمى صغير . أنزلوا التابوت بضع درجات ، وساروا به فى دهليز ضيق ، يفضى إلى حجرة واسعة ، رُسمت على جدرانها مشاهد للحياة فى الدار الآخرة ، كما يتخيلها النحاتون ، وأدعية منقولة من كتاب الموتى . ألقوا على المومياء نظرة أخيرة ثم أغلقوا التابوت ، وعادوا من حيث أتوا ، إلى دار ست الخالية ، وقضوا النهار والليل حتى منتصفه ، ثم تركوه يعانى الوحدة والصقيع . تثلجت أطرافه .. تدثر بأغطية عديدة ، إلا أن البرودة تتسرب إلى عظامه ، والكون كله .. لا أحد .. خواء .. ولم ينم ليلته إلا عند انبلاج ضوء الصباح ، حين أحس بدفء تأتيه أشعته من تمثال إيزيس ، فأغفى نائماً سويعات قليلة .

تناول افطاره .. كوب لبن مع أقراص الحنطة وبيضا .. ثم تناول أزميله وأدوات النحت الأخرى ، وساعده اثنان من أمهر النحاتين .. وأخذوا يحفرون فى الجدار الملاصق للفراش الذى كانت ترقد عليه نفرتارى ، مشهد القتل كما حدث .. وكتبوا على الجدار المتعامد عليه ، المقابل للنافذة،

قصة حياتها فى سطور قليلة ، ختمها ست بأزميله ، يصف مشهد القتل . وفي آخر سطر كتب : "تم القتل بمعرفة زوجها ست ، لأجل خاطر إيزيس". وتنفس الصعداء وهو يعيد قراءة ما كتب ، ثم يطيل التحديق فى الرسوم المزينة للحائط ، وعمد إلى تلوينها ، بأريحية من تطهرت نفسه ، إذ حافظ على عهد نفرتارى ، وطلق الفراش ولم ينم عليه أبداً .

فى المساء ، زاره أتباعه برفقة زوجاتهم اللاتى ألقين نظرات واجمة على غرفتها ، واطلعن على الرسوم المنحوتة فى الجدار ، وقرأن عبارات الوداع للراحلة ، وبعض الأدعية التى يحفظنها عن ظهر قلب ، ووعد بأن يلتقين بها فى الدار الآخرة ، التى هى دار البقاء .

وأقيمت مجالس التعزية سبعة أيام . بعدها .. شقى ست بوحدته ، لكنه ارتأى الدار الواسعة ممتلئة بأشعة التمثال القابع فى صحن الدار . اشتد به الوجد للقاء إيزيس ، فقصدها ممتطياً دابته الضامرة . وبدا على هيئته كأن سبع سنوات مضت من عمره ، وغزا الشعر الأبيض معظم رأسه .. خطا خطوات مترددة متشحاً بالحزن والألم ، وهاجس داخلى يحدثه بأن دار إيزيس جدير به أن يعيش فيها عوضاً عن أخيه . نعم ، قتل أخاه ، لكنه ماض بعيد ، مضت عليه سنوات وسنوات . والآن تقبع ايزيس فى الدار وحيدة ، وهو يقبع فى داره وحيداً .. أما آن للشمل أن يجتمع ؟ أما آن لقلبها أن يرق ويتحول ؟

دخل وقلبه يدق دقات متسارعة ، وطالعه وجهها المضئ . اقترب منها ، وقال بصوت خفيض :

– إيزيس .. أمور كثيرة تغيرت ..

- قتلتَ نفرتارى ..

- ماتت ..

- وصلتنى الأخبار .. ألم توعز لرجالك ليخبرونى ؟

- أصبحنا الآن وحيدين .. أنتِ فقدتِ أوزوريس ، وأنا فقدتُ نفرتارى.

- أوزوريس باق بأعماله وطيبة قلبه ..

وأطرقت واجمة ، ثم اقتربت منه قائلة :

- لا تنسَ أنك قتلتَ الاثنين .

- ليست يدى التى قتلت . إنها مشيئة الإله .

- لا تخدع نفسك . الشر يسرى فى دمائك . وما عرفنا ملكاً للشر مثلك . لا .. بل أنتَ إله الشر . أنتَ الشر متجسداً على هيئة بشر .

- كفى تبكيتاً وتوبيخاً . قد ودعتُ نفرتارى إلى دار الآخرة كأحسن ما يكون الوداع ، ورسمتُ صورتها بجوار الفراش ، ونقشتُ قصتها على الجدران . أحضرتُ عدداً من كبار الكهنة ليقرأوا الأدعية على جثمانها ، ووضعتُ بجواره القرابين . لم أقصر فى شئ . كان مشهد رحلة الموت مهيباً ، وتمت الصلاة الجنائزية فى خشوع تام ، مثلما يحدث لكبار القوم حين تواتيهم المنية .

التزمت الصمت وهى تنصت لكلماته التى غلب عليها الحماس والانفعال .. ثم خبأ وجهه بكفيه ، نادماً .. ثم جلس القرفصاء ، وعاد

يخفى وجهه بكفيه ، داعياً بالرحمة والغفران .. فطفقت هى الأخرى ترفع ذراعيها ضارعة ، داعية مثله . وفى لحظة صدق قل أن يجود الزمان بمثلها ، توجه ست بكلمات الندم :

– أعرف أنى مخطئ آثم ، وجرمى فادح .. أفدح من جرم مَنْ يلوث مياه النيل ، ولكن .. هكذا شاء القدر .

– القدر ! .. ما القدر ؟ أليس من صنعنا ؟

– تنطقين صدقاً .. وإنى أطلب الصفح والمغفرة ..

– ممن ؟

– من مالكة قلبى .. إيزيس ..

– إيزيس لا تملك الصفح ولا المغفرة . لقد أجرمتَ فى حق أخيك أوزوريس ..

– إنه ينعم بمرتبة القديسين .. وارتفعت منزلته .. إن قتلى لأوزوريس زاده حباً فى قلبك ، وهذا ما أندم عليه طول العمر .

أكملت حديثها :

– وأجرمتَ فى حق زوجتك نفرتارى ، راعية البيت ..

– دائماً تعايرنى بأنى عقيم ، لا أنجب ..

– لهذا قتلتها ؟

– كلا ..

– لماذا إذن قتلتها ؟

– ضاجعها فلاح أغوته ذات مساء لعين ..

– لا تلعن السماء . ألقِ اللوم على نفسك الموتورة .

– هكذا أنتن معشر النساء ، تلقين اللوم على الرجال ، ولا تلمن أنفسكن .

– ربما هي قصة مختلقة دسّها حاقد ..

– لا .. هي التي قالت ، وهي تغيظني وتفاخر بإثمها ..

أطرق لحظات ، ثم قال ضاحكاً :

– بل ادّعت أن أوزوريس قام من رقدته الأبدية ، وقضى وطره معها .

قالت بعصبية ، وقد انعقد الغضب على أسارير وجهها :

– كفاك هراء . لا تنطق باسمه أبداً .. لا تلوث حروف اسمه الطاهرة بفمك المليئ بالأكاذيب ..

تحمّل صوتها المتشنج ، الزاعق . التزم الصمت التام ، تاركاً لها الفرصة لتفرغ ما في جعبتها ، ثم قال وهو يحاول تهدئتها :

– ليس لهذا السبب قتلتها ..

– لن أسألك بعد الآن : لماذا قتلتها ؟

– لكن ينبغي أن تسمعيني ، فليس لي في الدنيا إمرأة سواك ..

– كفاك هراء . لستُ إمرأتك . لم أخلق لك . حتى لو لم يكن في الدنيا رجل سواك ، فلن أكون إمرأتك . إني وهبتُ حياتي لأوزوريس ..

وقالت محتدة :

- اغرب عن وجهى .. اغرب عن وجهى ..

رد عليها فى هدوء .

- سأنصرف الآن .

خرج حورس من حجرته ، قلقاً .. تملى ست وجهه وهو يقول

- هاك حورس أصبح شاباً يافعاً .

- ليس لك شأن به

والتفتت إلى حورس قائلة :

- اذهب إلى حجرتك ، يا حورس ..

انصاع لكلماتها وانصرف ، بينا ست واقف فى مكانه متحيراً ، ثم قال :

- قتلتُ نفرتارى من أجلك ..

- تنطق إفكاً . القتل شريعتك . وإنى أخاف على حورس منك ، فحياتك قضيتها تسفك الدماء ، ولا ترعى حرمة ولا ترحم دموع المستجير ..

- إنى أقدر أحزانك . لهذا سأنصرف . لكن ، قبل أن أنصرف ، لابد من كلمات تقال .. مجرد كلمات .. لا تقتل ولا تدمر . مجرد كلمات حبيسة فى صدرى . هل تأذنين لى بالبوح ؟

- قل كلمتك ، وامش ..

- قد صنعتُ لك تمثالاً دقيقاً ، يكاد ينطق .

- أعرف ..

– تعرفين ؟

– رجالك يخبرونني بكل شئ ..

– بحق السماء .. هل أصبحوا رجالك ؟

– أنتَ توعز لهم أن يخبروني ..

يبتسم قائلاً :

– على كل حال ، أنا فخور بهم ..

– بحق أوزوريس ، انصرفْ .. ودعني لأحزاني .

ردد وراءها :

– بحق أوزوريس ، أسمع رأيك فيما صنعت .

لم تعقب . أكمل :

– وبحق أوزوريس ، سأنصرف . لكني سوف أرجع يوماً ما .. لن أيأس..

ونكص على عقبيه ، عائداً إلى داره .

الفصل الثامن عشر

بيت الحياة ، أو دار المعلم (نون) ، يرتاده طلاب العلم والمعرفة وصنّاع الفنون ، من الهواة والمحترفين ، كما يرتاده الطلاب الباحثون عن الحكمة والموعظة ، والذين أضناهم البحث عن الحقيقة ، ومنهم حورس الشاب ، الذى يجادل (نون) دائماً فى مسألة التوحيد التى جاهر بها (آمون) . وكان حورس غير مقتنع بما ذهب به آمون ، ورده معلمه نون . فقال ضمن ما قال:

– أتمثل العالم الذى نعيشه يقوم على عنصرين اثنين ، هما الخير والشر .. وهما ضدان يتصارعان فى تلك الدنيا الواسعة .. والشمس الهائلة التى يمم آمون وجهه نحوها باعتبارها مركزَ الدنيا ومنبعَ الضياء .

تلك الشمس البعيدة العظيمة .. تظهر نهاراً ، وفى الليل تسودّ الدنيا وتظلم، تنقلب إلى الضـد . إنى -أستاذنا الموقر - أتخيـل صراعـاً يدور بين الخير والشر، مثلما أجد تعاقباً بين النهـار والليل . فالأبيض والأسـود ضدان ، والنور والظلمة ضدان . فهل يحق لنا - أستاذى المعلم الذى أفكر ببركته - أن نحكم بالثنائية ؟

يبتسم المعلم نون ، وقال يردّه عن غيه :

- والحب والكراهية ضـدان يا ولدى ، لكنهما يتصـارعان داخل النفس الواحدة . فأىّ ثنائية تتخيلها فتدّعيها ؟ لا تضعْ الحدود والفواصل ، وليغلبنّ على تفكيرك أن الوجود قائم على الصـراع بين الأضداد ، وهذا لا يتعارض مع ما جاء به آمون فى عقيدة التوحيد .

صمت حـورس طويلاً . ودل صمتـه على أنه غرق فى لجج متـلاطمة ، فطن إليها نون ، فقال مبتسماً:

- ما زلت صغيراً يا فتى ، تنقصك المعرفة والتجربة ..

قاطعهما توت :

- أستـاذنا نون .. مـا بالك بأوزوريس الطيب وست الشـرير ؟ إنهـمـا ضدان ، نقيضان ..

- لكنهما شقيقان ، من أب واحد وأم واحدة .

واقتحمت نفـتيس حلقة الدرس ، بعد أن استأذنت ، يعـلو وجهها أسى ووجوم . سألها نون :

- ما وراءك يا نفتيس ؟

– لا شئ . زرتُ المعبد . وتلوتُ فيه أدعية كثيرة . أخذتُ أدعو باندحار الشر وشيوع الخير . ثم يممتُ وجهي إلى حيث ترقد نفرتاري رقدتها الأبدية..

يعقب نون :

– كلنا في حزن لفراق نفرتاري .

صاح توت في انفعال :

– اللعنة على القاتل .

وصاح حورس في انفعال أشد :

– القاتل هو القاتل . إنها اليد الآثمة التي قتلت أبي أوزوريس .

قال نون ناصحاً :

– هدئا من روعيكما ..

هتف حورس بصوت محتد :

– لماذا لا تقتلون ست الشرير ، حتى يأمن الناس من شروره ؟

يرد عليه نون :

– هل نعالج الجريمة بأخرى مثلها ؟

هتف توت يجاري صديقه في انفعاله وحدة صوته :

– إنها طيبة وسذاجة .

يتوجه إليه نون ، وقد بدا على تقطيبة جبهته حكمة السنين التي عاشها :

– وهل تنتهى الشرور والآثام بقتل ست ؟ بالله عليكما ، لا تندفعا ..

وطفقت نفتيس تبكى وقد غلبها انفعال ، وأخذ البعض يهدئ انفعالها ويطيب خاطرها . وواصل نون حديثه :

– أرجو ألا يضطركم القاتل إلى أن تصبحوا قتلة مثله ، وترتدوا ثياباً ملطخة كثيابه ، التى لا تشبه أبداً ثيابكم البيضاء ..

واشرأبت الأعناق إلى حيث يقف حورس فى وسط قاعة الدرس الصغيرة ، وزعق صوته مجلجلاً :

– عفواً معلمنا ، يا رمز المعرفة ، بهذا نكون قد استسلمنا وخضعنا لمشيئة ست ..

يتوجه نون بخطابه إلى الجمع الملتف حوله :

– الهدوء يا طلاب المعرفة .. الهدوء يا نفتيس .. فلنعالج الأمور بروية . حين نصمت قليلاً ونتريث ، نستطيع أن نفكر ، وأن نتجه بتفكيرنا الوجهة الصحيحة . فلنتخرج من الدائرة الضيقة التى نحن أسرى بداخلها . هلموا معى نقرأ بعض الأدعية ، بالرحمة والغفران ، والتوبة عن المعاصى والآثام . لعل أدعيتنا تصل إلى أسماع الظالم فترده عن ظلمه ، وتهديه إلى طريق قويم .

وفى اللحظة التى انتهوا فيها من تلاوة الأدعية ، اقتحم ست القاعة الصغيرة . وجم الجميع ، وشخصت الأبصار إليه وهم ذاهلين . قد انعقدت ألسنتهم ، وما نطق أحدهم بكلمة واحدة . أما نون فقد غرق مثلهم فى نهر الدهشة وقطب ما بين حاجبيه . وبدا التوتر على قسمات حورس .

ود لو انقض عليه ، يطبق بكفيه على رقبته . ونفتيس باتت كالقدر الذى يغلى ، فتندفع إليه ممسكة بسترته تهم بقطعها ..

– اقتلينى يا نفتيس ، فأنا لا أستحق الحياة ..

يصيح حورس :

– إنها مكيدة . هاكم ست يأتيكم ثعلباً مراوغاً . هل تنطلى عليكم حيلته ؟

يتوجه نون إلى طلابه قائلاً :

– أيها الطلاب .. أستأذنكم بعض الوقت . فقد أتى ست لمقابلتى ، ولابد أن أستمع إليه . فلتسمحوا لى بالتحدث مع ست منفردين .

ويصحب ست إلى حجرة ملاصقة للقاعة .

وانصب حديث ست فى تبرير قتله لزوجته ، حيث اندفع تحت تأثير قوة طاغية سيطرت عليه ، أو هى قوى خفية . أما الآن ، فقد برئ مما يعانى ، وندم على ما فعل .. وطفق يردد كلاماً كثيراً عن حبه لإيزيس ، وعشقه لها . وما ملك نون شيئاً يفعله إلا أن يطلب له الهداية ونور البصيرة ، ثم حياه عند انصرافه.

وعاد إلى طلابه يكمل درسه عن الأخلاق والفضائل ، وعن التسامح والتصالح . وكانوا جميعاً فى اصغاء تام .. وكانت نفتيس ضمن طلابه التواقين إلى المعرفة .

أما ست ، فقد انصرف قاصداً دار إيزيس ، لعله يظفر بلقاء ...

الفصل التاسع عشر

جلس ست قبالة نون فى غرفة مغلقة النوافذ والأبواب . لا تتعدى المسافة بين المقعدين متراً واحداً، أو أقل . ووضع قدحان من الحلبة على منضدة صغيرة منخفضة . والأناة التى بدا عليها نون عملت على تهدئة ست المتفعل . تطرق نون إلى الحديث عن جفاف النيل هذا العام ، وأيام التحاريق التى أصابت الناس فى مقتل ، وتشقق الأرض الطينية ، وظهور الملح . يبدو أن النيل العظيم غاضب ناقم .. قال ست:

– علينا أن نبحث عن سر غضبه .

– كيف ؟

– إنه القربان .

– أنصِحْ .

– يتحدث البسطاء من الناس عن قربان يطمع فيه النيل ، عن عروس جميلة ، عن جميلة الجميلات فى أرض الكنانة كلها ..

– لماذا تصدق هذه الخرافة ؟

– أسمع الناس وهم يتحدثون عن عروس النيل ، بل سعوا فى البحث عنها ..

– من شدة الضنك ، بدأت الألسن تلوك خرافات ليس لها ظل من الواقع .

– هل يعيش الناس فى وهم كبير ؟

– الناس قد يتعلقون بقشة كى ينجوا من المحنة .. هذه سنة عجفاء مريرة.. نحن والنبات والطير والحيوان ، نحيا ببركة النيل .. فما أقسى غيضانه ، وما أحلى فيضانه !

– لماذا لا نهدى النيل عروساً ؟ لماذا لا نحاول ؟

– أنقتل نفساً بريئة ؟

يتضاحك ست وهو يقول :

– لن تُقتل يا سيدى . إنها سوف تعيش فى عالم آخر .. عالم النيل ، حيث الدنيا غير الدنيا .. وتصير حورية من حوريات النهر.. وتَسعد فى تلك الحياة ، وتُسعد النيل الغاضب ، فتفيض مياهه . إننا نهديه عروساً

جميلة ، فى أحلى زينة وأبهى هيئة ، فيهدينا مياهاً وفيرة ، ويعم الخير الجميع.

– أنقتل نفساً بريئة ؟

– يا أيها المعلم .. أليس فى كلماتك غير كلمة (القتل) ؟

– تجادلنى بما تتصف أنت به ..

اهتاج ست ..

– ماذا تقصد ؟

– أقصد مَنْ قتل أوزوريس ونفرتارى ، يسهل عليه أن يقتل نفساً بريئة أخرى ..

– أنت تعمل على تبكيتى .

– بل أعمل على تطهيرك .

– لماذا تركت فرعون البلاد الصغير ، ودققت النظر فىّ وأنا أناهز الخمسين ؟ فرعون قتل آلاف الناس ولم يحاسبه أحد . وأنا قتلت – كما قلت أنت – اثنين ، فانقلبتَ علىّ وانقلب علىّ الناس أجمعين . بل انقلبت علىّ الدنيا بأسرها .

– الفرعون ! .. صه .. لا تنطق اسمه .

– أعرف أنى أقترب من المنطقة المحرمة . فلأبتعد .. ولأركع للفرعون . لا ، يجب علينا جميعاً أن نركع له ، ونقدم له فروض الولاء والطاعة .. لسبب بسيط ، هو أنه الحاكم وإن لم يتجاوز العشرين من عمره .

– صه .. للحائط آذان تسمع ..

– ولها عيون ترى ..

طرقات سريعة على الباب المغلق . يصمت الاثنان ، يكتمان الأنفاس . أصوات تنادى ، تستعجل الاثنين لأمر هام ..

– سيدى المعلم نون .. سيمر موكب الفرعون من أمام (بيت الحياة) بعد دقائق قليلة .. هلا خرج الجميع لتحيته ؟

والتفت إلى ست :

– يبدو أن الموكب يقصد الضفاف . لابد أن أكون فى مقدمة الموكب . انصرفْ الآن لحال سبيلك ، على ألا يلحظك فرعون وجنوده .. عُدْ إلى دارك .. ولنرجئْ حديثنا إلى وقت آخر .

ركب حماره الهزيل ، وانصرف متوارياً عن الأنظار ، عبر بلقع مترامى الأطراف لم تطأه قدم . وتهيأ المعلم للسير فى الموكب ، مرافقاً للفرعون .

لاح الموكب من بعيد ، وقد تعالت صيحات تنادى :

– النيل فى خطر .. أنقذوا النيل يا شباب .. قد غاض ماؤه ، وجف نبعه، ونحن نادمون لأننا نلوث مياهه ونعكرها .

وتعالت صيحات أخرى :

– قدموا القرابين للنهر الغاضب ..

وصيحات الشعب المقهور تدوى :

– أنقذنا يا فرعون البلاد . بيوتنا لا تجد حشاش الأرض تقتات بها ..

أولادنا يطلبـون الماء والطعام .. الحيـوانات تنـفق ، ونحن نمرض .. ومنا مَنْ شارف على الهلاك .. أنقذنا يا فرعون البلاد ..

خرج المعلم وتلاميـذه ليكونوا فى استقبـال الموكـب . لكن المعلم نون قد رأى مـا أدهشه . إذن قـد صدق ست فـيـما قـال . ها هى حـافلة تسيـر فى الموكب ، مـزينة مـزركـشة .. تـقف وسط الحافـلة عروس جـمـيلة ، شـابة صغيرة، فى أحلى زينة وأزكى عطر .. ووصيفـات حولها يعرضن رقصات إيمائية ، وهـن يحملن الأقداح ، وتـتلوى أذرعهن بهـا ، إذ تمرر الأقداح من قدم العـروس إلى شعرها المنسـدل على كتفـيها ، كـأنهن يملأن الأقداح بماء عذب . الرقص الإيمائي يوحي بأن العـروس هي مانحة الماء للناس ، أو هى التى بيدها مفتاح ساحر .. تُفيق النيل من غفوته ، فيجزل فى العطاء .. !

همـهم المعلم بكلمات غيـر مفـهومـة ، لم يسمـعهـا حواريوه .. حـتى حورس وصـديقه توت وأختـه نيت ، وقفوا بـجانبه حـائرين لا يدرون ماذا يفعلون ؟ وماذا يقولون ؟ لكن الحافلة تسر الناظرين . موكب عرس بهيج ، أتى ذات نهار شـحيح . يقلب نون فكره على شـتى الوجوه . هكذا فـرعون دائماً . يعمل على إرضاء الناس ولو بالخداع . قد استغل خرافة ليحيى أملاً مات فى النفوس . فإن فاض النهـر فلأننا قدمنا له القرابين . وإذا لم يفض ، فلأنه يريد قـرابين جديدة ، يريد عرائس أخـرى تُزف على شطآنه . وينساق الناس وراء الوهم ، يطيعون فرعون البـلاد الصغير ، الذى لا يهمه بنت مَنْ مِنَ الناس تلك الضـحيـة . حـقاً يا ست ، بدأتُ أقـتـرب من منطقك ، بأن الفرعـون قتل المئات ، بل الآلاف . ألـم يسخرهم فى حـفر مقـابر الأسرة ، وغيره من الـفراعين الذين سبقـوه فعلوا نفس الشئ ؟ حكاية ظالمة عاشـتها

البلاد . وكم فيكِ يا أرض الكنانة من مبكيات .. ! بدأتُ يا ست أقترب من فكرك ، وإن كنتُ أختلف معك . فأنتَ قاتل أيضاً .. لكننا نحاسبك ، ولا نقدر نحن على محاسبة فرعون ، حاكم البلاد .. القرويون البسطاء ، الحفاة العراة ، يقطعون مسافات كبيرة وهو يهللون للفرعون ، هاتفين له بطول البقاء مصدقين الأكذوبة ، ويصر فرعون ورجاله على هدهدة أحلام الناس ، مستغلين ما هم فيه من معاناة ..

هتاف قوى ملء الحناجر العطشى :

– المجد للفرعون .. المجد للفرعون ..

يتمتم نون بينه وبين نفسه : "يا لكم من قوم مخدوعين . إن جرى النهر بالمياه ، فوراء ذلك أسباب لا تعرفونها . لكن فرعون ليس أحد هذه الأسباب . وإن شح الماء ، فلأسباب أخرى لا تعرفونها ، لكن فرعون ليس أحد هذه الأسباب . إن ترك فرعون بمفرده ، كعامة الناس ، فهو أضعف من أن يدافع عن نفسه ، أضعف من أن يدبر لنفسه لقمة عيش أو رشفة ماء . إنه قوى بكم ، ضعيف بدونكم..

هم رعاياك يا فرعون . هم ملح الأرض . هم المعابد والأهرام والتماثيل.. هم النهر والترعة والقناة .. هم الحقول والنخيل والأشجار .. هم الورود والأزهار .. هم الأطيار .. هم النجوم المتلألئة فى ظلمات الحياة.. هم عبير الأرض .. ورغم ذلك فهم ينحنون لك إجلالاً وتعظيماً ، والأجدر أن تنحنى أنتَ لهم" .

أفاق نون من أحاسيسه المريرة ، على الحافلة تمر من أمامه .. العروس

الجميلة تلتف من حولها الفاتنات وهن يواصلن الرقصات الإيمائية ، وخلفها حافلة أخرى تقف فيها حاملات الدفوف ، يضربن عليها ، ويلهجن بأناشيد عن عطاء النيل ووفائه .

ثم لاحت مركبة الفرعون ، ذات العجلات الذهبية ، يجرها زوج من الخيول القوية ، فانحنى نون لمرأى فرعون . توقفت المركبة ، وبإشارة من يد فرعون ، صعد نون إلى المركبة ، ووقف بجوار كاف ، معلم المنطقة القبلية.. وسار بين حشود الجماهير .. ولم يعد نون يسمح لخواطره الدفينة أن تبين أو تتكشف ، وانشغل عنها ، بمحادثة كاف مرة ، ورد تحية الجماهير المحتشدة مرة أخرى .

انتهى الموكب الحافل عند ضفة النهر ، حيث احتشدت القوارب المصنوعة من الخشب ونبات البردى . وبدأت مراسم الولاء للنهر ، يجريها فرعون البلاد ومرافقوه وجنوده ، وكان نون واحداً منهم ، ممتثلا للتعاليم .

امتطى فرعون قارباً كبيراً يشبه مركب الشمس الذى يتفنن الفنان فى صناعته ، فى رحلة الشمس من الغروب ، لتجتاز عالم الناس ، وتعرج على العالم السفلى ، ثم تغتسل فى النهر قبل أن تشرق فى اليوم التالى على صياح الديكة والقردة . وتبع الفرعون مرافقوه على نفس القارب . يحف بالعروس موكب حاشد حتى وصلت إلى قاربها ، واعتلى الجنود وكبار القوم القوارب الأخرى ، واصطف عامة الشعب على البر ، يشاهدون احتفال الوفاء ، وعيونهم ترنو إلى العروس القربان . وكان نون واقفاً فى قارب فرعون ، شارد اللب فى حيرة من أمره .

لكن عينيه لا تفارقان عروس النيل ، حتى أسقطوا فى مياه النهر تمثالاً

يشبهها تماماً ، من صنع فنان حاذق . فـاحتضنته الأمواج وتوارى سريعاً عن الأنظار ، وسط تهليل وفرح الكثيرين . وتعالت هنافات وأناشيد عن النيل المبارك السعيد ، عطائه وكرمه وعذوبة مائه . لكن العام الحالى قد أتى بما لا تشتهى النفوس .

لهج الجميع بالدعاء ، وكرروا الهتاف ..

– المجد للفرعون .. المجد للفرعون ..

أما العـروس التى يجرى فى عـروقها مـاء الحياة ، فـقد اخـتفت فى لمح البصـر ، خلف حراس فـرعون، حـيث تقضى ليلتـها فى أحـضان فـرعون الصغـير ، ولا يعرف أهلهـا عنها شيئـاً .. وتصير عندهم فى عـداد القرابين المقدمـة للنهر . ويذهب والداها إلى دارهما يـؤديان الصلوات ، ويقرآن من كتاب الموتى بعض الأدعية والأناشيد .

الفصل العشرون

جلست الأختان إيزيس ونفتيس فى ردهة واسعة بدار إيزيس ، يتجاذبان أطراف حديث باك عن مقتل نفرتارى . وكان حورس قد ذهب إلى عمله اليومى ، يباشر أعمال الزراعة فى الأراضى الواسعة ، مع صفيّه توت . ولما طلبت نفتيس من أختها أن تزور معها قبر الراحلة ، تأوهت ولزمت الصمت فترة طويلة ، فاحترمت أختها هذا الصمت . وتركتها تجتر مواجع وأحزاناً قديمة ، ونهضت تمرن ساقيها على المشى بعد طول جلوس ، وظلت تروح وتجئ بخطى وئيدة ، ثم عادت تجلس جلستها الأولى ، وقالت فى حسم :

– من الواجب أن تزورى قبرها ، وتصنعى الفطير

لروحها المغتربة ..

– لكن .. ألم تشترك فى قتل أوزوريس ؟ أنسيتِ التابوت الخدعة ؟

– مكيدة ست ..

– لماذا تبرئين نفرتارى ؟

– لست أبرئهـا . لكن لا يعـقل أن تساعـد ست ، وهى تعلم أنه يفـعل فعلتـه من أجل الظفر بك . إنهـا إمرأة قبل كل شئ ، وليس ذنبـها أن ست خدعها .

– تقولين .. خدعها ؟ .. هى أيضاً ؟ .. يا له من مأفون .. !

– إنه فى حال يرثى لها ، بعد أن ضيّع بيده أعز ما يملك . كانت نفرتارى سلواه ..

أطرقت نفتيس لحظات ، ثم أكملت :

– أكرر ما قلت .. من الواجب أن نزور قبرها ..

أجفلت واجمة ، فأيقنت أنها أذعنت لطلبها ، فراحت تسـرد لها تفاصيل الزيارة والاستعداد لها .

وحددا صباح غد الاثنين ليذهبا سويا .

أمام المقبرة ، انهمرت دموع الأختين حزناً عليها . وطفقا يتلوان الأدعية، ويطلبان لروحـها الرحمـة. وفجأة ، لمحت إيزيس رجلاً هـزيل البنية يجلس القرفصاء ، مستنداً إلى جدار القبر ، مخفياً وجهه بين ذراعيه المتعانقتين . لم تتعـرف عليه أول مـرة . ولما اقتربت منه ، سمعت نحيبـه المتواصل ... لم

تصدق نفسها ... نظرت إلى أختها تتيقن منها ، فتومئ لها برأسها ، دلالة أنه هو .. هو ست .. وقد جار الزمان عليه ، وصار حطام جسد . جلست نفتيس قبالته ، بحذر شديد لئلا تفزعه ، ورفعت رأسه بأناملها ، فطالعها وجهه الذى غسلته الدموع ..

– هل تظل تبكيها العمر كله ؟

فزاد بكاؤه .. قالت :

– كفاك بكاء ..

التفت عن يمينه فرأى وجه إيزيس المضئ . بُهت للمفاجأة . ورفع طرف صداره الأبيض يمسح به وجهه .

– إيزيس هنا .. إيزيس .. صاحبة القلب الكبير .. قلب لا يضمر الشر.. قلب تطهر من الأدران والأحقاد ..

– جئت أزور قبر الراحلة .. وأعود ..

– شرف القبر بمجيئك ..

همست فى أذن أختها :

– أرايتِ .. انقطع البكاء فجأة ..

عجبت نفتيس ..

– حين يراكِ ، ينسى الدنيا وما فيها .. هذه حاله ..

توجهت إليه بحديثها :

– ست .. إيزيس جاءت تؤدى الواجب ، لأجل روح نفرتارى ..

وليس يعنيها أن تعرف تفاصيل لا تهمها ..

وتركاه أمام قبرها وحيداً ، وانسحبا عائدتين ، وعيناه تتتبعان خطى الحبيبة ، خطى إيزيس الساحرة . كأن قلبه يرحل عنه ، ويعانق معها أشواق الحياة !

ولما آب إلى داره ، وقبل أن يطأ عتبتها ، فاجأه أحد أعوانه بما لا يسره ، إذ أبان له أن جند فرعون يحومون حول الدار ، ويبحثان عنه ، وأضاف الرجل :

– سألنى أحدهم عن مكانك ، فجهلت الأمر .. وقلت له أن المكان بلقع، لايشجع على السكنى فيه .. إلا أن الجندى قال فى ثقة : "نعرف أنه يسكن هنا ، وهاك قبر زوجته نفرتارى .. لكن فرعون تردد فى حبسه .. أخبره أن فرعون إذا أصدر أمراً بالقبض عليه ، فلن يشكل هذا مشكلة ، ولن ينقضى نهار اليوم إلا وهو مكبل بالأغلال ، مساقاً إلى السجن .. إننا نراعى كبر سنه ، وحزنه على فراق زوجته" ..

– وماذا قال أيضاً ؟

– قال : إن المعلم نون هو الذى يلتمس من الفرعون عدم القبض عليك.. وأنت تعلم جيداً أن فرعون يكنّ له تقديراً واحتراماً ..

قال ست :

– ما عاد يهمنى أن أكون داخل جدران سجن فرعون ، فالحياة الآن أضحت سجناً كبيراً ..

وتركه وآب إلى داره ، فوقع بصره على تمثال الحبيبة .. إيزيس .. فركع

أمام التمثال ، وطفق يناجيها :

- عندما أراكِ ، تُرد إلى جسدى الروح ، وأتنفس أنفاس الحياة ..

- عند - قدمى التمثال ، افترش الحاشية التى سينام عليها . وبين اليقظة والمنام ، شخصت إيزيس كائناً حياً ، يبتسم له ، يقترب منه ، يرنو إليه . عيناها ملؤهما الشوق ، وزادهما الخيال .. بحار الشوق تهدر بأمواج عابثة فى فوضى لا مثيل لها . امتدت يداها إلى يديه ، تساعدانه على النهوض .. ينهض بتؤده ، وقد أحس بأريحية ، وبدأ يتحسس وجهها ، خدها الناعم ، جبينها الأغر .. وحين تحسس شعرها ، استرد وعيه ، فإذا ايزيس تمثالاً حجرياً .. وهو قابع فى داره تراوده أحلام اليقظة ، كالسراب الممتد فى الأفق ..

أفاق من أضغاث الأحلام ، وسأل نفسه : لماذا لا أزورها ؟ قد زارت قبر نفرتارى ، فلماذا لا أتوجه إلى بيتها ، أرد الزيارة الكريمة وأقدم لها شكرى وامتنانى ؟

الفصل الحادى والعشرون

ساقته قدماه إلى الحبيبة ، وقد سبقته روحه الهائمة ،
تطوف حول الدار . عبر الطريق الرملى وقد أنهكه
السير لضعف البنية . كان حراسه قد أصروا على
مرافقته ، فرفض . طلبوا منه أن يراقبوه عن بعد ،
حتى لا تمتد يد من أمام أو خلف للنيل منه والفتك
به، لكنه رفض . وأصر أن يتجه إلى الحبيبة بمفرده ،
لا يخشى بأساً .. أفهمه الحراس أن أعداءه يتربصون
به ، فأفهمهم أنه وصل إلى سن لا يخشى فيها ملاقاة
الموت ، بل إنه يكاد يشعر أنه قاب قوسين أو أدنى
منه ، وأنه مستعد له بعد أن غدر بأوزوريس
ونفرتارى ، وما ظفر بقلب الحبيبة .. ما عاد يخشى
شيئاً . أذعن الحراس لرغبته مطأطئى الرؤوس ،

وشيعوه بأبصارهم حتى غيّبة الأفق .

استأذن الوصيفة ، فرثت لحاله وأدخلته دون أن تخبر سيدتها ، التى ما إن رأته حتى هبت واقفة ، منتفضاً كيانها كله ..

– أنتَ أيضاً .. وتدخل دون استئذان ؟

– أدخلتنى الوصيفة .

هرعت الوصيفة فى أثره ، وقالت لسيدتها :

– رثيتُ لحاله . أراكِ لا تمانعين فى دخوله .. أليس كذلك ؟

ارتاح ست لكلمات الوصيفة . رُدت الروح إليه .

وجـمت إيزيس بعـد أن عـجـزت عن النطق بـشئ . تقف حـائرة .. إنه عاش حـياة تعسة .. وهى إن نـست فلن تنسى أنه قتل زوجهـا .. قتل أغلى وأعز الرجال . لكنها حين تذكر أنه قتل زوجته أيضاً ، تغرق في لجج الحيرة، ويتراءى فى مخيلتها رجلاً يدمر نفسه بنفسه ، ويحفر قبره بيديه ! لكن ...

– لماذا جئت ؟

– جئت ...

– تلعثم القول على شـفتيه .. وخطا خطوة فى اتجاه إيزيس ، فـتراجعت خطوتين إلى الوراء ..

– لا تخشَ شـيـئـاً .. جـئـتُ لأقـدم شكرى علـى تفـضلك بزيارة قـبـر زوجتى..

لم تعلق بكلمة واحدة ..

– أعرف أنى مكروه . ومهما قلت عن حبى لك ، فلن يتحول قلبكِ العنيد ، ومازلتِ تعشقين رجلاً مات من سنين طويلة .

– قتلته بيديك الآثمتين ..

– أما آن الوقت لندفن الماضى ؟

– هيهات .. يا ابن إله الشر ...

أطرق .. مقراً بالذنب ..

– أما آن لمليكة قلبى أن تغفر ذنبى ؟

– هيهات .. هيهات ..

– إذن ..

– ماذا تريد ؟ فهمت .. تحدثك نفسك المدنسة بأن تقتل ، فالقتل شريعتك ووسيلتك البائسة .. تُرى .. مَن الضحية ؟ أنا أم حورس ؟ إذا شئت القتل ، فها أنا بين يديك .. ولكن .. أستحلفك بمن تعبد أن تبتعد عن حورس . أعرف أنك دنىء حقير .. إذن ، فارو غليلك منى ، ها أنا طوع بنانك ممتثلة بين يديك .. اقتلنى ، وأرحنى من دنيا عذاب أعيشها بعد أن فارقنى أوزوريس . سوف أستقبل الموت مستريحة ، فلسوف ألحق بالعزيز أوزوريس ، وإن أضنانى فراق حورس .. إنى أعيش حياتى من أجله. الآن كبر حورس ، صار فتى قوياً ، قد علمته العلوم والفنون ودروس الحكمة لدى المعلم الكبير نون .. قد أديت رسالتى على أكمل وجه .

– لن أقتلك ، ولن أقتله ..

– لن أصدقك أبداً .. لماذا جئتَ إذن ؟

- لأقدم الشكر على تفضلكِ بزيارة قبر زوجتى ..

قالت هازئة :

- هل أصبح لك قلب يحس ويتـألم مثلنا ؟ أحقـاً تعتز وتفـخر بالقلب الراقد فى المقبرة ؟

- كفاكِ سخرية ..

- لماذا جئت إذن ؟

- لأقدم الشكر على ....

قاطعته :

- لا داعى لتكرار كلمات حفظتها ، وجئتَ تلقيها على مسامعى . فأنتَ جئت لتقتلنى أو تقتل حورس .

- مَنْ يحب لا يقتل ..

- قلبك لا يعرف معني الحب .. مَنْ يحقد لا يحب ..

- إن سر نكبتى طوال حياتى أنى أحبك ..

- تحبنى ؟

- أجل .. مليكتى .. وأقسم لك ..

- آه فـهـمت .. من أجل حبك لى ، تزمع قـتل ولدى حـورس ، الذى يكرهك ويمقتك . وبذلك تخلو لكَ إيزيس .. لا .. أرجـوك .. ابتعدْ عنه .. إن كنتَ تحب إيزيس حقاً ، فها هى إيزيس أمامك ، لكن ابتعدْ عن ولدى .. ارجوك .. أرجوك ..

****

تنضو الثوب ، وما ترتديه من ثياب داخلية ، لتمثل قبالته عارية تماماً كما ولدتها أمها ..

- هاك جسدى .. اقضِ وطرك .. هاك إيزيس التى تمنيتها واشتهيت جسدها .. هاك جسدى .. أنا الآن طوع بنانك .. فريسة سهلة .. يحق لك أن تجامعها أو تقتلها ..

اقتربت منه ، وهو ينظر إلى جسدها العارى ، ويعقد مقارنة بين الجسد الحى والتمثال الحجرى .. هل ثمة اختلاف ؟ هل أجاد النحت والصنع ؟ اقتربت منه أكثر ، ولفح أنفاسها يقترب من أنفاسه ..

قالت بصوت هامس :

- ها أنا أمامك .. هاك جسدى .. ألم تقتل زوجى وزوجتك من أجل استباحة هذا الجسد .. هاك جسدى .. إما أن تقتلنى أو تقضى وطرك .. وأنا ممتثلة فى الحالتين ، مادمت سترفع يدك عن ولدى . أرجوك ، لا تمس حورس بأذى ..

ابتعد عنها خطوة إلى الوراء ، وهو يغالب مشاعره .. شئ فى نفسه يرفض عرضها السهل .. يبتعد عنها .. وكلما ابتعد ،تقترب هى منه ، فيتقهقر إلى الوراء أكثر .. واغرورقت عيناه بالدموع ..

- تبكى ؟ هل تعرف البكاء ؟ هل تتألم ؟

ومن طاقة مستديرة بالجدار ، تسللت أشعة الضوء على شعرها الأسود الفاحم المتوهج ، وبدا منثوراً يستحم فى حمام ضوء فضى . وبدا وجهها المستدير قمراً مضيئاً ، وانسدل الشعر المتوهج على كتفيها العاريتين ، وهتك

شـعاع الضـوء الثديين المكتنزين ، والحـلمتين ، شـعاع مـراهق يفض بكارة
الثديين ، الذراعان البضتان فيهما امتلاء ، لكنهما متناسقان مع اتساق الجسم
وامتلائه . وسمح ست لعينيه الدامعـتين أن تلقيا نظرة على الجسد العارى ،
نظرة سريعـة ، ليس فيها رغـبة ولا اشتهاء ، لكنـه فضول العينين ، كـأنهما
تتـباريان مع شـعاع الضـوء فى اقتـحام الجسـد .. وتجرأت أناملـه ، ومسّت
ذراعيـها كأنهمـا يمران على مرمر ناعم ، مـسـاً خفـيفاً ، ثم أبعدهمـا .. كأن
أنامله استباحت شيئاً حراماً ، وألقى ببصره على البطن وأسفله .. ثم رنا إلى
عينيهـا ، تلتمس عيناه قبـول العذر لهذا الاقتحـام . وبدت له إيزيس أجمل
حين نظر إلى عـينيـهـا . مات الحـيـوان الذى عاش فـى داخله زمناً طويلاً ،
ورأى فيها طيراً سـماوياً ، رأى فيها ملاكاً طاهراً .. كانتـا عينين جميلتين ..
كانتـا أجمل العيون .. لم ير أجـمل منهما .. اسـتنجد بعينيـها لتحمـيه من
جمـوح المشاعر .. لكن إيزيس – الآن – أنثى طـيعة لينة ، لا تعـترض على
شئ ، ولا تتمنع .. أسـلمت له نفسهـا فى لحظات لم يَجُدْ الزمان بهـا ، وما
كان يحلم بشئ من هـذا قط .. كانت أحلامه مـتواضعـة .. مهمـا جمح به
الخيال ، فما كان يمنى نفسه بهذه اللحظات .. وما أحب إيزيس الواقفة بين
يديه ، طوع بنانه ... فـهل يقضى وطره ؟ لا .. إنه الآن مـتبدل الحـال .. قد
مات الحـيوان المفترس الـذى كان يعيش بداخله ، ويزين له حب الشـهوات
والآثام .. تراءت فى ناظريه ملاكـاً طاهراً .. كانت عـيناها جميلتين ، كـانتا
أجمل العـيون .استنجد بعـينيها ، تحمـيه من جموح المشـاعر . لكن إيزيس
تقف أمامه أنثى طيعـة لينة ، لا تعترض على شئ ، ولا تتمنّع .. تسلس له ،
فى لحظات لم يجُد الزمان بهـا من قبل، وما كان يحلم بهذا. كـانت أحلامه

متواضعة ، مهما جمح به الخيال ، فما كان يمنّى نفسه بهذه اللحظات .
لكنه، وآه من لكن .. قد أحب إيزيس المتمنّعة الأبية ، أحب إيزيس العنيدة..
وما أحب إيزيس الواقفة بين يديه طوع بنانه .. فهل يقضى وطره ؟ لا .. إنه
الآن غير الحيوان الهمجى الذى كان يعيش بداخله .. إنه إنسان كله خطايا..
والخطيئة يندفع الإنسان إليها بفعل ظروف ضاغطة ، وعوامل وأحاسيس
متداخلة ، ترغب فيه الدنس . حتى القتل ، أملاه شيطان ظالم يسكن
جسده، هكذا يرى ؟ أما الآن ، فيقف أمام الحبيبة بخطاياه وآثامه ، ، لايطمع
فى شئ مادى ، يطمع فقط أن تغفر له خطيئته .. إنها كالمعبود الذى يحنى
هامته له !!

تململ فى خطوته .. خطا للخلف خطوة فخطوة ، وإيزيس تدنو منه
خطوة فخطوة .. عارية تماماً ، غير هيابة .. راضية بما يفعل .. تهبه اللحظات
التى كان يتمناها منذ سنوات طويلة . لتكن الليلة لك يا ست .. ولتكن
خطيئتى الأولى ، لعلك تهدأ وتستريح ، ويسكن الحيوان الجامح بداخلك ..
لكن يا ست .. ما بك لا تتحرك ، لا تنقض على فريستك ؟ هل تريد أن
تراقصنى ؟ إليك هذه الرقصة !

وبدأت ترقص رقصات متناسقة مع إيقاعات دفوف تتخيل فتيات
يحملنها ، ويضربن عليها . واتخذت الصالة الواسعة مسرحاً للرقص
الإيقاعى ، تصول فيه وتجول .. مرة ترقص مستحمة فى حمام ضوء ،
فيلتهب جسمها جمرات نار ، والشعر الأسود المجنون يتطاير كما يحلو له ،
مزهواً مختالاً ، يرقص هو الآخر رقصاً ذا إيقاع مختلف ، فتارة يخفى
وجهها ، وتارة ينسحب إلى الوراء .. وقد تلقى به إلى أسفل ، حين تثنى

جذعـها ، وقد تبتـعد عن مسـاحة الضوء المتـاحة ، تلتقط فـيها أنفاسـها من الضوء الجـرئ الذى استـباح جسـدها كله . ومـا تلبث أن تعود إليـه ، أنثى تتلوى تطلب المزيد ، ليغتسل جسمها كله بالضوء الفضى الساحر ..

يعـجب ست بالرقصـة .. تأتى إليـه من جديـد ، تستـصرخ ذكـورته أن تقـتحم الجسد ، الذى هتك الضـوء سـتره .. لكن ست جـامد سـاكن فى مكانه، كأن على رأسه الطير ، لا يتحرك قيد أنملة .

***

يتناول الثوب القرمـزى يغطيها به .. فتمسك بالشوب وتلقى به بعيداً .. فيـتناول إزارا آخر وجده قـريباً منه ويتقـدم نحوها ، يلف الإزار حـولها فى حرص ، قائلاً :

– لن أنال منك ، ولن أمسّكِ بسوء ..

ويبكى .. يجهش بالبكاء ..

– ابكِ .. ابكِ أيها القلب المعذب .. لعل الدموع تغسل خطاياك ..

ترقّ إيزيس لحاله .. إنه غير (سـت) الذى تعرف ، إنه إنسان آخر .. هل يتحول القلب ؟

يتمتم بكلمات ممزوجة بالنحيب :

– ما قصـدتُ عشق جسد بلا روح .. لقد قـتلت نفرتارى حين ارتكبت معصية مع شاب وضيع ..

– لعلك واهم ؟

- هى التى اعترفت ..

يصمت قليلاً ، ثم يقول :

- أرجوكِ يا إيزيس ، ارتدى ثيابك .. لا تحتقرينى أكثر من ذلك ..

وبدأت ترتدى ثيابها قطعة قطعة ، وقد اطمأنت له .. واستغرق هو فى بكاء طويل ، دافناً وجهه بين كفيه ..

دخلت الوصيفة فجأة ، مهرولة فى اضطراب ، معلنة قدوم حورس ..

ارتبكت إيزيس ، التى أكملت ارتداء ملابسها فى عجلة ، وهى تقول بأنفاس متلاحقة :

- أرجوك يا ست .. اخرج من هنا سريعاً .. على ألا يراك حورس ..

شد من قامته وهو يمسح نهر الدموع المتجمد على خديه ، وقال :

- أنا لا أخشى ولدى حورس ..

- قد يقتلك ..

- إذن .. فقد وضع حداً لمأساتى ..

- اذهب يا ست .. اغرب عن وجهه .. حاذر أن يراك ..

لكن حورس اقتحم المكان ، وقد استمع إلى بعض حديثهما ..

- الآن يحق لى أن أقتلك ..

- لا يا حورس .. إياك أن تقتله ..

- أماه .. أريد أن أنتقم لأبى ..

- إياك أن تفعل .. دعه يذهب إلى داره آمناً ..

- إذن .. اغرب عن وجهى سريعاً ..

- اقتلنى يا ولدى ، وارحمنى من حياتى وما فيها من عذاب ..

تصرخ إيزيس :

- أرجوك يا ست ..

- سأرحل عن الدار ..

شيعه حورس قائلاً :

- لولا أمى تشفع لك لقتلتك ..

امتثل لرجائها ، وغادر الدار وهو يجر أذيال الحسرة والندم ، وفى داخله تزهو صورة ملائكية لإيزيس ، أوشكت أن تتحطم ، لولا صده عنها . إنه لا يجد مبتغاه فى جسد عار . الصورة الملائكية للوجه الحبيب ، مازال يحنو عليها ، لأنها تعيش معه منذ الصغر . غادر الدار ، وقد شيعه حورس بنظرات زائغة ..

الفصل الثاني والعشرون

اتجه إلى غرفته ، وتمدد على الفراش محدقاً فى السقف ، شارداً فى أمر عمه الذى ترتعب أمه من ذكر اسمه . لم يشفِ غليله منه . هناك ثأر قديم لوالده الذى تمزق جسده أشلاء فى أرجاء الوادى . لماذا تنهره أمه عن منازلته ؟ أتخشى من هزيمته ؟ حتماً سينتصر عليه . هو الأقوى . قد تلقى تدريباً قوياً فى معسكر الفرعون ، وصار من جنده الأشدّاء. وتهيأ لحرب قادمة يعدّ لها فرعون ، وما عاد يأبه بجبروت ست . ست بخون . يغدر . يحقد . خسيس جبان . غلا الدم فى عروقه . أيظل يهدد أمه المسكينة المترملة فى عز الشباب ؟ لماذا تمنعه من قتله ؟ أهى خائفة من العقاب ؟ هو لن يُعاقب .. إذا ما حوكم ،

وأصدر القاضى حكماً بسجنه ، سيتقدم بالتماس لفرعون ، فيعفو عنه . ست معروف بظلمه. لماذا تخشى أمه من الانتقام ؟ فليقدم على فعلته دون أن يُخبر أمه بشيء . هذا أفضل حل . راقت الفكرة ، وانتفض متحمساً لها .. خبأ الخنجر فى سترته ، وارتدى زى الخروج ، متجهاً إلى الباب الخارجى مجتازاً الردهة الواسعة ، دون أن يحدث صوتاً .. دون أن تراه الوصيفة .. دون أن يوقظ أمه . واتخذ من الظلام ستاراً ، واتجه إلى عقر داره، عابراً صحراء واسعة ، ساعده حصانه الأبيض المطيع ، فى قطع المسافة دون عناء . ولما وصل إلى الدار ، ترجل عن فرسه وربطها فى جذع نخلة قريبة . وعند عتبة الباب ، وقبل أن يطرق ، ظهر فجأة ثلاثة رجال ذوو بشرة سوداء . جحظت عيونهم فى الظلام . تدبر أمره سريعاً .. ركل أحدهم ركلة طرحته أرضاً ، ولكم الثانى عدة لكمات فى صدره فانطرح بجوار الأول، أما الثالث فقد استعد لنزاله بعصا غليظة طويلة .. أصابه بضربة قوية على ظهره ، فتحملها فى ألم ، واستل خنجره الخبيء ، واقترب منه أكثر ، فضربه الرجل الأسود فى يده الممسكة بالخنجر، فوقع الخنجر من يده .. خشى أن ينحنى لالتقاطه فيجهز عليه بعصاه .. لكن الأسود الضخم ، رمى العصا بعيداً ، واقترب منه غير هيّاب ، وهمهم بصوت غليظ ، قاصداً إخافته .. سدد حورس لكمة قوية فى صدره ، فتحمّلها وانقض بكلتا يديه يلفهما حول رقبته .. أنّ حورس .. تصاعد أنينه.. فخرج ست من صومعته مهرولاً صائحاً فى حارسه الحبشى :

- لا .. لا تقتل حورس .

فامتثل وابتعد عنه . التقط حورس أنفاسه ، بعد أن انفك الحصار القاتل

من حـول رقبـته ، وانـحنى يتناول خنجـره . ولما طلب منه ست أن يدخل ، امتثل .. وخطا بخطى وئيدة ، غير مصـدق أن عمه أنقذه من موت محقق . جلس على مـقعد خـشبى ، وست جـالس قبـالته ، يرنو إلى الحـزام الملتف حول بطنه ، وقد دس فيه سلاحه ، قائلاً :

– هذا الخنجر ..

وتضرج وجهه بحمرة خفيفة ..

– أجل .. هذا الخنجر لقتلك ..

– ها أنا أمامك .. سأتقبل الموت راضياً مرضياً ..

– قد فـقدتُ الرغبـة فى قتلك . ما كنـتُ أحسب أنى سأواجـهك بهذه السهولة . قد جئتُ لمنازلتك .. قد أقـتلك وقد تقتلنى . أما عرضك السخى بأن أقتلك ، فـهو عـرض يفقدنى مـعنى الثأر . لستُ غـادراً ..إنما أنا فارس شجاع ، علمتنى الفروسية ألا أقتل خصمى غدراً ، أو أواجهه وهو أعزل .

وفى هذه الأثناء ، يسمع حورس صوت جلبة ، يسأل مستفسراً ، فيجيبه ست :

– إنهمـا حارساى اللذان أفاقـا من لكماتك القوية . لا تخشَ بأسـهما . سأمنعهما من الاقتراب منك ، فأنتَ آمن فى دارى .

شـخص إليـه . تأمّل الجسـد المنهك . مـا عـاد ست قـوياً . إنه فى سن الشيخوخة . أمن الشجاعة يا حورس أن تقتل رجلاً مسنّا ؟ راودته هواجس شتى وأحـاسيس مـتبـاينة . لا تنسَ يا حورس أنه أنـقذك من يدىْ الحـبشى القويتـين ، كنت على مقربة مـن الهلاك ، فتـدخّل ست فى الوقت المناسب

وأنقذك .. ردد فى حسم :

- لن أقتلك بهذا الخنجر . لكننى سأحتفظ به فى رحلة العودة ، ربما اعترضنى حيوان ضار أو قاطع طريق ..

همّ بالانصراف . فأوصى حراسه أن يرافقوه حتى يصل البيت آمناً مطمئناً . التفت إليه محيّر الفكر مبلبل الخاطر . كأنه التقى بشخص آخر غير ست . أهكذا تغيرنا الدنيا ؟ هل يتحول القلب ؟ أم هى خطة يرسمها ست ولا يعرف تفاصيلها ؟ أم هو الضعف الذى منى به فى الكبر ؟ أم هو التكفير عن خطأ الماضى ؟ لكنه فوق ذلك كله يحس به يحنو عليه ، يعامله معاملة الأب .. ما كل هذا الحنان ؟

سأله :

- هل لك حاجة أقضيها لك ؟

- تصحبك السلامة . لست بحاجة لشىء سوى أن يعود لقلبى الهدوء .

- هدوء !

قالها فى عجب واندهاش . تساءل محدثاً نفسه :

"متى كان البحر الهائج هادئاً ؟"

وإزاء ما هو فيه من اضطراب فكر وحيرة ، عجّل بانصرافه . راكباً فرسه الأبيض الجميل ، عابراً مفازة الصحراء ، فى صحبة الحراس الأحباش .

الفصل الثالث والعشرون

فوجئت به يطرق بابها فى جنح الظلام . أدخلت ابن
أختهـا متقطع الأنفـاس . أراح حـصـانه عند جـذع
نخلة، تميل أفرعها العـالية فى اتجاه باب الدار ، كأنها
ترعاه وتحـرسه . نفـتيس ارتابت . توجـست خيـفة .
لكن حورس طمـأنها بأنه لم يرتكـب خطأ .. كل ما
هنالك .. وطفـق يسـرد حكاية عـمـه ست الذى لا
يعرفه . حكى لها مـا حدث ، مؤكداً أنه راجع لتوه ،
ولم يذهب إلى أمه بعد .. وطلب منها النصح . تردد
فى منازلته ، مـتراجعـاً عما انتـواه . لكنه .. ربما وقع
تحت تأثيـر خدعة ، أو مكيـدة يحتـال بها عليـه . أمه
حذرته كثـيراً من أحابيل ست وألاعيبه . لكنه رآه -
حين التقى به - شـيخاً مـسناً لا يقوى على الحـركة .

الفى قبالته إنساناً مسالماً ، ضعيفاً ..

– أماه نـفتيـس .. جئتُ ألتـمس النصح ، قبل أن أعـود إلى أمى الثكلى سنوات طوال ، الصابرة على ما جرت به المقادير ..

– غريب أمرك يا فتى . أكاد لا أصدق ما أسمع . أحقاً ما تقول ؟

وأعـدت له شـراباً سـاخـناً ، لعله يهـدأ ويطمـئن خـاطره .. وغـازلت خيالاته، معرضة عما يقلقه ، بأن فاتحته فى الزواج ..

– ومن تلك الفتاة ؟

– كل الفتيات يعجبن بك يا حورس ..

– حتى أخت فرعون الصغيرة ..

– يا نمس ..

– قهقهت عالياً ، واردفت :

– حتى أخت فرعون ..

وأفهمته أن لها حظوة لدى عائلة فرعون ، حاكم البلاد .. وأن مكانة أبيه وأمه ، تزكيه خطيباً لأخته حتحور ، جميلة الجميلات ..

لكنه ارتد فجأة إلى الحديث عن ست .. وحـدثها عن الوعد الذى قطعه على نفسه بأن ينتقم لأبيه..

– أوزوريس الطيب ، مـات متسامـحاً مـسـالماً .. وارتفعت منزلتـه إلى القديسين ، وصار قبره مزاراً لكل الناس .

– اريد أن أنتقـم له ولأمى .. لكن .. أماه نفـتيس .. أما لكِ أن تنـقذينى

من بلبلة الخاطر ... يتنازعنى قلبان .. قلب ينبض بالانتقام ، فيدفع الدم الساخن إلى كل عروقى .. وقلب ثان يبث فى شعاب نفسى نبضات الوئام والسلام .. أو هو قلب واحد يتقلب بين جنبّى ، ميمنة وميسرة ، والحركتان متعاكستان ...

– دعك من ست . إنى ذاهبة لزيارته . اطرح همومك جانباً .. قد انتهت أحزان الماضى ، أو ينبغى لها أن تنتهى . ألا تؤمن معى بتغير النفوس ؟

– بلى .. القلب يتحول ..

– أنت شاب صغير ، وبداخلك تتصارع قوى متضادة ، لهذا يغلب عليك التردد .. وقد تمر بلحظة ما ، تؤيد اتجاهاً ، فتندفع بحماس شديد لفعل طائش تندم عليه .

– التردد وصمة فى جبين الضعيف . هل وصل بى الضعف إلى هذا الحد ؟

– بل التريث قوة .

– لا أعتقد فى هذا .

– لا تنس أن أباك لم يدنس يده بإثم ، ولا اغتال أحداً .. وأنت – أيها الفارس الهمام – ابن أبيك ، تحمل من صفاته الكثير .

– وابن أمى الثكلى ..

– وأمك أيضاً ، لم تدنس يدها بإثم .. ولا اغتال أحداً ، أمك أحبت وأخلصت لأبيك .. ويحق لك أن تفخر بعنصريك الكريمين ، الطيبين .. ولتستعد للزواج من البنت التى أحببتها .. من حتحور ، أخت فرعون

العظيم..

- هذا حلم يتبدد وقت طلوع الشمس ..

- سأجعله واقعاً ..

وتردد فى مكاشفة خالته بأحاسيسه وهواه ..

وفى اليوم التالى ، التقت نفتيس بإيزيس ، وتحاورت الأختان حول زيجة حورس ، وحول ست .. ورأيا أن يقوما بزيارة لست ..

استقبلهما بحفاوة .. ورآها فرصة مواتية ليطلعهما على تمثال إيزيس .. وتمثال ثان لأوزوريس ..

شهقت نفتيس ، وصاحت :

- أعرف أنك صنعت تمثالاً للحبيبة إيزيس .. ولكن .. لا أصدق أنك تصنع تمثالاً لأوزوريس ..

- أوزوريس أخى .. ولا أسامح نفسى فيما اقترفت ..

وأطرق رأسه ، ناظراً إلى موضع قدميه فى ندم وأسى ..

إيزيس مذهولة ، ترى ولا تصدق . تحس ولا تنطق . تسمع ولا .. صمتت فجأة ، وعيناها الكحيلتان .. ترنوان إلى التمثالين ، كأنهما ينطقان حياة .. ما أبدع ست فيما صنع .. اقترب منها ، وقال بصوت هامس :

- عشت سجيناً فى هذه الدار ، وكان أهون علىّ أن أسجن فى سجون فرعون ، من تلك الحياة التى ليست بالحياة ، منعزلاً عن الناس .. حتى زوجتى ، قتلتها حين شككت فى سلوكها .. ما أهون الإنسان حين يدمر

حياته ويقضى عمره يجتر أحزان السنين ، وأوهام الحياة ..

ما زالت إيزيس متسمرة فى مكانهـا ، وعيناها النجلاوان شاخصتين إلى التمثـالين الحجريين ، الناطقين بروعة الفنان .. أمـسك ست بيدها ، يقودها إلى مخـدع نفرتارى .. ويطلعـها على ما نحـته على الجدران ، عن زوجـته وحياتها .. وعن الرسوم الجميلة المزدانة بها الجدران ..

يبتسم ست .. ويترجم لحاله :

- قضيت عـمرى أحاور الحجـر ، أبعث الحياة فى الحجـر ، أكاد أتسمّع أصواتاً تنطق بها الأحجار ، لهذا يشتد عزمى ، وأبنى عالمى الأخرس الأصم الأعمى .. لكنى أراه بعينى وقلبى غير ذلك .

تصيح إيزيس معجبة :

- لكننى أراه مـثلك . انظـر يا ست . ذلك الهـواء البـارد الذى يلفـحنا الآن.. إنه ينقل حفيف صوت أوزوريس ..

يبكى ست ..

- أوزوريس .. أخى الطعين .. ألا أقبلت ؟

نفتـيس تربت على ظهره ، يواصل البكاء ، يكفر عن ذنوبه وجـرائمه .. وأقعى على الأرض ، دافناً وجهه بين كـفيه .. رق قلب إيزيس ، حاولت أن تمسك بكفه .. قالت لها نفتيس :

- دعيه يبكى .. فالبكاء يريح النفس المعذبة .

خرجت من الحجـرة التى كانت مخدعاً لـنفرتارى .. إلى صحن الدار ،

ترنو مثلها .. تاركين ست فى مخدع الراحلة ..

وفوجئنا بحورس يدخل ، غاضباً ، ثائراً ..

– ها قد جئت يا أماه لأنتقم ..

– لا .. لا يا ولدى .. لا تلطخ يدك بالدم ..

ونهرته نفتيس أيضاً :

– ابتعد عنه .. إنه حطام جسد ..

وقالت إيزيس :

– انظر يا ولدى الحبيب .. إلى ما صنع ..

نظر إلى التمثالين .. والتزم الصمت مثلهما ..

جمد الثلاثة واقفين .. كأنهم فى صلاة خاشعون !

الصمت يخيم على التمثالين ، غير أن نحيباً متواصلاً يأتى من الحجرة ، آخذاً فى الضعف ، رويداً رويداً ، ثم تحول إلى أنين يشق صدر ست .. أنين موجع ، ثم شهقة قوية ، ويموت الصوت ... تماماً .. يغرق المكان فى صمت كصمت القبور .. تبادل الثلاثة نظرات حائرة ، ولا تقوى الشفاه على النطق بكلمة ، كأنهم يشاركون فى مؤامرة الصمت التى استأثر بها المكان . وحورس الحائر يقف بين الأختين ، ينظر عن يمينه إلى أمه ، وعن يساره إلى خالته .. يخشى أن ينطق بكلمة واحدة ، حتى لا يجرح بكارة الصمت ..

تهمس إيزيس لأختها :

– ألا طلبت منك شيئاً ؟

- ...

لم تجب ، لكن فى نظرات عينيها إيجاب ..

تهمس إيزيس من جديد :

- أنت تعيشين وحيدة بدارك ، وهو يعيش وحيداً هنا .. ألا انتقلت للعيش معه ، زوجة تؤنس وحدته .. ؟

لم تجب ، لكن فى عينيها إيجاب ثان ..

تحركت الأختان بخطوات حذرة ، حريصتين على ألا يحدثا صوتاً ، احتراماً لآية الصمت .. ودلفا إلى الحجرة .. تاركين حورس يتأمل وحده تمثالى ست ، تخليداً لأبيه وأمه ..

اقتربا من ست ، الذى تمدد على أرضية الحجرة ، أمسكت نفتيس بيده ، فعادت إلى موضعها .. كان ست جسداً فارقته الروح ..

وتمزق قماط الصمت بأنين الأختين ..

هرع إليهما حورس ، شاخصاً فى الوجه الميت .. ولأول مرة يتفرس وجه إنسان يموت . انبجست من عينيه دموع .. مات فى غير معترك . ولعل المقادير شاءت أن تعفيه حورس من منازلة ضعيف متهالك ..

الفصل الرابع والعشرون

تقلبت إيزيس فى فراشها ، لا تهنأ بنوم ولا تستقر
على حال . فى تلك الليلة التى شهدت فيها موت
"ست" .. ولطالما تمنت موته سنوات مريرة طويلة ..
إلا أنها بعد أن لمست الندم الذى يعانيه ، والصلاة
الصامتة يتقرب بها إلى القوة الخالقة ، وكفارة
الخطيئة التى عمد إليها بصنع تمثالين ينطقان حياة ،
لها ولزوجها .. بعد كل هذا أحست برهبة الموت ..
ولأول مرة تقع عيناها على جسد فارقته الروح ،
حتى زوجها لم تشهد لحظة موته أو مقتله، لا تدرى
على وجه اليقين هل فارقته الروح مثلما تفارق كل
إنسان يموت ، أم قتل بأفكار شيطانية سكنت روح
ست ؟ لقد دفعه جنون حبه لها ، إلى الغدر بأخيه

ودفعه حبه لها إلى صنع تمثال ، وكفر عن خطيئته بصنع تمثال لأخيه ، فى إشارة رامزة إلى تحول قلبه عن الأنانية ، واستوعب الحب بمعناه الواسع ، وطرد الروح الشريرة ، وطهر نفسه من أوصابها .. وحين اندفعت فى جنون تتعرى أمامه ، ليقضى وطره ، ظناً منها أن هذا منتهى مراده ، لتفتدى ابنها حورس وتحميه من الغدر ، رأته شخصاً آخر ، سما بقلبه وغطاها بالثوب .. لقد عز عليه أن يمتلك قلبها .. أن ينتزع حبها له .. فالقلوب تتآلف طواعية ، ولا تتصنع ، هكذا أدرك الدرس القاسى ، بعد فوات الأوان ، بعد أن انكشفت صورة نفسه الوضيعة أمام فرعون وإيزيس ونفتيس ونفرتارى وحورس ونون ... وأمام كل الناس .. لولا العناية التى شمله بها نون ، رجل العلم والحكمة ، ودعوته له بالهداية والصلاح ، ونصحه المتواصل بأن يخلع ثوبه الملوث بالخطيئة ، الملطخ بالدماء ..

استجدت النوم ، فكان عصياً .. فالقلق مستبد ، والأحاسيس المتباينة المتداخلة تكاد تعيى عقلها وما إن أغفت فى إعياء ، حتى انتفضت من نومها مذعورة إثر كابوس يكاد يمسك بعنقها ويخنقها .. صرخت عالياً ، فأتاها حورس الذى لم ينم ليلته هو الآخر ، وإن كان لأرقه أسباب أخرى .. حين رأت حورس احتضنته ، وهى تسترد أنفاسها المتلاحقة .. لم تشأ أن تذكر له الحلم المفزع ، حين رأت ست متشحاً بالسواد ، جاحظ العينين ، ووجهه مشوب بلون الدماء ، وهو يخنق حورس .. ولما صرخت فى المنام ، لم تسمع لصراخها صوتاً ، وألفت ست الشيطان ، يحيط عنقها بيديه الداميتين، انتفضت مذعورة ، صارخة مذهولة .. سألها حورس .. فلم تجب إلا بكلمتين :

– كابوس مزعج .

جلس إلى جوارها على الفراش .. مطرقاً رأسه ..

– ظللت الليلة ساهرة .. ولما تلطف النوم ، أتانى هذا الكابوس ...

– وأنا مثلك لم أنم ..

– ما بك يا ولدى ؟

– أقلقنى كلام الخالة نفتيس .. عن رغبتها فى تزويجى من حتحور أخت فرعون ..

– إنها رغبتى أيضاً .. إنها جميلة الجميلات ..

– أماه .. إنى أرغب فى الزواج من نيت أخت صديقى توت .

– لكن ...

– أعرف أن "نيت" من أسرة فقيرة ، والدها فلاح يحرث الأرض .. لكنى يا أماه .. أحبها .. والفقر ليس عيباً ..

مسحت بيدها جبهته .. ومرت بأناملها على خصلة الشعر المتهدلة على الجبين ..

– أتحب يا ولدى ؟

– أماه ...

– سأزوجك إياها .. ما أجمل قلبك يا حورس .. النابض بالحب . الحب يا ولدى يصنع المعجزات .

– أماه .. أخت الفرعون يتمناها آلاف الشباب . لكن "نيت" لها قلب

وحيد ينبض بحبها ، هو قلبى أنا ..

– ما أرق قلبك يا حورس .. إن وصية أبيك ، أن يعمر الحب قلوب البشر .. وبالحب يفيض النيل وتسخو السماء . بالحب تعمر بلادنا .. وتزهو طيبة ، وكل المدن والقرى .. إنى فخورة بك يا حورس ..

– هل ستغضب الخالة نفتيس ؟ إنى أكن لها حباً كبيراً ..

– فى الصباح ، سأزورها ، قبل أن تخطب لك أخت فرعون .. لماذا لم تبح لها أمس ؟

– أصابنى الحرج .. يبدو أنها بنت أحلاماً واسعة ، فلم أشأ أن أصدمها..

– نفتيس تعيش وحيدة ، لا زوج يؤنسها ، ولا ولد .. نفتيس التى ضحى زوجها بروحه فى إحدى الحروب ، دفاعاً عن بلدنا ، لا تملك من حطام الدنيا إلا أن تحبك ، هى تعتبرك ابنها الذى لم تنجبه . وهى تريد سعادتك .

– وأنا أعتبرها أماً ثانية .. وأتمنى أن تعيش معنا فى الدار الواسعة .

قرصت أذنه ، معجبة بتفكيره :

– يا لك من بارع .. تريد أن تدبر لأمك من يؤنسها ، بعد زواجك .. حتى لا تتزوج بعد أبيك .. اطمئن .. قد كنت أفكر فى هذا .. لكنك سبقتنى ..

وصاح الديك صياحه المعتاد عند أول خيط ضوء يغمر الأفق ، لكن صياحه له طعم آخر هذا الصباح ، فخفق قلب حورس .. متمنياً أن يطير

بجناحى الشوق إلى أخت تـوت ، إلى "نيت" .. وهو يغنى للفتاة الجـميلة ، البسيطة ، ويغنى للبسطاء الكادحين .. أبناء الأرض السمراء ..

وإيزيس تدعـو أن يكون فى انبلاج الصبـاح ، بداية عهـد جديد ، يغـمر الكون فيه الحب والصفاء والنقاء ، وأن يكون خير مصر لأبنائها الكادحين..

صدر للمؤلف

- باقة حب : (دراسة أدبية) بالاشتراك - القاهرة ١٩٧٧
- أحدثكم عن نفسي : (قصص) - دمشق ١٩٨٥
- طائرات ورقية : (قصص) - القاهرة ١٩٩٢
- كلمات حب في الدفتر : (قصص)- مشق ١٩٩٣-ط ١ والقاهرة ١٩٩٧- ط ٢
- سبعون ألف آشوري : (قصص مترجمة) لوليم سارويان - حلب ١٩٩٤
- ابن عمي ديكران : (قصص مترجمة) لوليم سارويان - حلب ١٩٩٤
- الخفاجي .. شاعراً : (دراسة أدبية) - القاهرة ١٩٩٧

من قائمة الإصدارات

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسنى لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازى
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
فى لهيب الشمس	رأفت سليم
أنا كنده	كيروجا ترجمة: رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد فى ظل	عبد النبى فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــــد	عبده خال
صعيدى صَح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
فى انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس أبوولوس ترجمة د.على فهمى خشيم
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخورى

مسرح ..

العنوان	المؤلف
هذه الليلة الطويلة	د.أحمدصدقى الدجانى
اللعبة الأبدية .. (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبدالحافظ

شعر ..

العنوان	المؤلف
أول الرؤيا	إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
قصائد حب من العراق	البياتي وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى
إضاءة في خيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
حواديت لفندى	عصام خميس
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
صلاة المودع	صبري السيد
دنيـــا تناديـنـــا	طارق الزياد
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدى رياض
غربة الصبح	محمد الفارس
وَنَس	محمد الحسيني
ليالى العنقاء	محمد محسن
غنمة فى حجر صيادها	ناجى شعيب
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
منه الروح لى	نادر ناشد
فى مقام العشق	نادر ناشد
ندى على الأصابع	نادر ناشد

دراسات ..

العنوان	المؤلف
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
قراءة المعانى فى بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم
البعد الغائب : نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى

تراث ..

العنوان	المؤلف
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د . أحمد الصاوى
رمضان .. زمان	د . أحمد الصاوى
القصص الشعبى فى مصر	إعداد خيرى عبد الجواد
إغاثة الأمة فى كشف الغمة	
الفاشوش فى حكم قراقوش	
الحكمة المدنية لابن المقفع	

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة فى الإصـــدارات لا تعبـــر بالضـــرورة عن آراء يتـبناهـا المركـــز